جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بكفر الشيخ

المؤتمر الدولي الأول تحت عنوان : "البعد الإنساني في التراث العربي والإسلامي"
٢٩ من ذي الحجة ١٤٤٢ هـ = الموافق ٨ أغسطس ٢٠٢١م

الأبعاد الإنسانية في سورة الماعون

أ.د/ رزق محمد السواحلي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية أصول الدين بطنطا

الأبعاد الإنسانية في سورة الماعون

رزق محمد السواحلي

قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بطنطا

الملخص :

فإن موضوع الأبعاد الإنسانية في سورة الماعون لما كان متعلقاً بقضايا إنسانية عديدة نمت وترعرعت في العصر الحديث بسبب عوامل دينية واقتصادية وثقافية ، ؛ ، بيد أنها ضربت جذورها في أعماق كثير من شعوب العالم عموما والشعوب الإسلامية خصوصا ؛ بسبب تفشي وباء (كورونا) ، الذي جعل كثيرا من الناس يدعون اليتيم والمسكين ، ويمنعون الماعون ؛ بسبب الركود الاقتصادي ، وتوقف العمالة غير المنتظمة ، كما أضعف الوازع الديني ؛ بسبب إغلاق المساجد ؛ فجعل السهو عن الصلاة ، وتركها بالكلية له ما يبرره عند أصحاب القلوب المريضة ، الذين يقولون : (بركة يا جامع) .

ومن هنا اقتضت طبيعة هذا البحث أن يخرج في : مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة .

أما المقدمة ؛ فبينت فيها أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، ومنهج البحث ، وخطته.

وأما التمهيد، فعنوانه : البعد الإنساني وعناية القرآن الكريم به .

وأما المبحث الأول ؛ فعنوانه : "بين يدي سورة الماعون

وأما المبحث الثاني ؛ فعنوانه : الأبعاد الإنسانية في سلوك الكافرين ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : عنوانه : "التكذيب بالدين وأثره في سلوك الفرد" .

المطلب الثاني : عنوانه : "دع اليتيم من مظاهر قسوة القلب: .

المطلب الثالث: عنوانه : "عدم الحض على طعام المسكين من مظاهر حب الدنيا".

وأما المبحث الثالث ؛ فعنوانه : الأبعاد الإنسانية في سلوك المنافقين ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :عنوانه : " السهو عن الصلاة من مظاهر التهاون بشأنها" .

المطلب الثاني : عنوانه : "الرياء من مظاهر حب الشهرة والرياسة" .

المطلب الثالث : عنوانه : "منع الماعون وأثره على الفرد والمجتمع" .

وأما الخاتمة ؛ فبينت فيها أهم نتائج البحث ، وتوصيات الباحث .

الكلمات المفتاحية : الأبعاد – السياسية –الماعون – التكذيب – الكافرين.

The human dimensions in Surat Al-Ma'un

Rizk Mohammed Al Sawahi

Department of Interpretation and Sciences of the Qur'an at the Faculty of Fundamentals of Religion in Tanta

Abstract :

Study Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Master of the Messengers, and his family and all his companions And after .., the subject of human dimensions in Surat Al-Ma'un was related to many human issues that have grown and nurtured in the modern era due to religious, economic and cultural factors., However, it has struck its roots in the depths of many peoples of the world in general and Islamic peoples in particular Because of the outbreak of the (Corona) epidemic, which made many people reprimand the orphan and the needy, and prevent the aid Because of the economic stagnation, and the cessation of irregular employment, the religious scruples also weakened;Because mosques are closed So he made forgetfulness about prayer, and neglecting it altogether, has a justification for those with sick hearts, who say: (Blessing, O mosqu) Hence, the nature of this research necessitated that it contain: an introduction, a preamble, three sections, and a conclusion

. As for the introduction; I explained in it the topic, the reason for choosing it, the research method, and its plan

As for the introduction, it is entitled: The Human Dimension and Care of the Noble Qur'an in it

As for the first study; Its title: What is the relationship between Surat Al-Ma'un؟

As for the second topic; Its title: Human Dimensions in the Behavior of Unbelievers, and it contains three demands:

The first requirement: its title: "Relinquishment of Religion and its Impact on Individual Behavior"

Keywords: Dimensions - political - Ma'on - denial - infidels.

المقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن ، الكريم المنان ، خلق الإنسان ، علمه البيان .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، قبسة من نوره تهدي الخلائق صراطا سويا ، وقطرة من فيض جوده ؛ تملأ الأرض ريا ، ونظرة بعين رضاه ؛ تجعل الكافر وليا ، سبحانه سبحانه ، إذا أراد أمرا ؛ يسر له أسبابه ، وكان أمرا مقضيا .

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، خير خلق الله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وأصحابه ، الذين هداهم وطهرهم ، وبصحبته خصهم وأظهرهم ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعـد ..

فإن القرآن الكريم ، هو حبل الله المتين ، وصراطه المستقيم ، وهو النور المبين ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء .

فكل آية من آياته معجزة : تأمر بحق ، أو تنهى عن باطل ، وتدعو إلى فضيلة ، أو تحذر من رذيلة ؛ فهو دستور السماء لهداية أهل الأرض ، وهو الكتاب الخاتم الصالح لكل زمان ومكان .

سبب اختيار الموضوع :

لما رأيت كثيرا من الأمراض الاجتماعية انتشرت بيننا ؛ وخاصة بعد تفشي وباء (كورونا) ؛ فأغلقت المساجد ، وقل منا كل راكع وساجد ، وتعطلت الأعمال ؛ فقل المال ، وأصبح كثير من الناس يقولون : نفسي نفسي ، لا أسأل اليوم غيرها ، وأصبح الشح مطاعا ، والهوى متبعا ، والأثرة احتلت مكان الإيثار ، وظهر على الساحة صنفان متناقضان :

الصنف الأول يكذب بالدين ، ويقول : إن نبيكم يقول : "لاعدوى" [1] ، وها هي ذي العدوى تنتشر في الناس انتشار النار في الهشيم !!! .

(١) أخرجه : البخاري في صحيحه ـ البيوع ـ شراء الإبل الهيم ـ عن ابن عمر : ٣/ ٦٢ / ٢٠٩٩ .

والصنف الآخر : وجدوا الفرصة سانحة للرياء ؛ فلبسوا ثياب الثعالب ، وزعموا أنهم على درب جعفر بن أبي طالب؛ فهذا يدعي أنه طبيب الغلابة ، وذاك يزعم أنه لخلق الله كالسحابة .

والحق أن بعضهم كان صادقا ، وبعضهم كان مرائيا .

ولما رأيت سورة الماعون تعالج كل هذه القضايا ؛ عزمت ـ مستعينا بالله تعالى ـ على كشف اللثام عن هذه الحقيقة المذهلة ، وهي : أن سورة قصيرة مثل سورة (الماعون) تكاد تبدل المفهوم السائد للإيمان والكفر تبديلا كاملا ، وتعالج كل هذه القضايا الإنسانية .

إشكاليات البحث :

تتلخص إشكاليات هذا البحث فيما يلي :

١ ـ أن سورة (الماعون)اعتراها كثير من الاختلافات حول : مكان نزولها وزمانه ، وفيمن نزلت ، كما اختلف في المراد بكثير من ألفاظها ، والأحكام المتعلقة بها ؛ لذا أردت أن أدلي بدلوي في كل هذه القضايا .

٢ ـ أن بعض ألفاظها تحتمل الحقيقة والمجاز ، واشتهر بين الناس المعنى المجازي، على أنه هو المعنى الحقيقي ؛ فأردت أن أبين الأصل الاشتقاقي لهذه الكلمات.

٣ ـ أن اسقاط النص القرآني على القضايا المعاصرة من الأمور الشاقة ؛ فأردت أن أبين ما في سورة الماعون من أبعاد إنسانية معاصرة .

منهج البحث :

اقتضت طبيعة هذا البحث أن أعتمد على المنهج التحليلي الموضوعي : حيث إن بيان الألفاظ الكريمة يحتاج إلى المنهج التحليلي ، ومعالجة القضايا الدينية الاجتماعية يحتاج إلى المنهج الموضوعي ؛ وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضا .

ثم إنني عزوت الآيات القرآنية إلى سورها ؛ وخرجت الأحاديث النبوية ، والآثار ، ونقلت حكم العلماء عليها ، وبينت معاني الكلمات الغريبة ، ووثقت الآراء ، والأقوال من مصادرها الأصيلة .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يخرج في : مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين ، وخاتمة .

أما المقدمة ؛ فبينت فيها أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وإشكاليات البحث ، ومنهج البحث ، وخطته .

وأما التمهيد، فعنوانه : "بين يدي سورة الماعون

وأما المبحث الأول فعنوانه : الأبعاد الإنسانية في سلوك الكافرين ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : عنوانه : "التكذيب بالدين وأثره في سلوك الفرد" .

المطلب الثاني : عنوانه : "دع اليتيم من مظاهر قسوة القلب: .

المطلب الثالث : عنوانه : "عدم الحض على طعام المسكين من مظاهر حب الدنيا".

وأما المبحث الثاني ؛ فعنوانه : الأبعاد الإنسانية في سلوك المنافقين ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :عنوانه : " السهو عن الصلاة من مظاهر التهاون بشأنها" .

المطلب الثاني : عنوانه : "الرياء من مظاهر حب الشهرة والرياسة" .

المطلب الثالث : عنوانه : "منع الماعون وأثره على الفرد والمجتمع" .

وأما الخاتمة ؛ فبينت فيها : أهم نتائج البحث ، وتوصيات الباحث .

ثم ذكرت قائمة بأهم المراجع والمصادر ، ثم الفهرس العام .

فهذا جهد المقل ؛ فما كان من توفيق فمن الله وحده ، وما كان من تقصير فمن نفسي والشيطان ، والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ؛ إنه نعم المولى ، ونعم النصير .

/

تمهيد

بين يدي السورة الكريمة

حري بنا . قبل أن نخوض غمار تفسير سورة الماعون . أن نذكر بعض الأمور التي تتعلق بها ، من حيث : نزولها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها ، وموضوعها ، وغير ذلك ، وذلك حتى يكون القارئ الكريم على بصيرة بهذه الأمور ؛ حتى يقبل على تفسيرها بانشراح صدر ، وبيان هذه الأمور على النحو التالي :

أولا : اختلف العلماء في سورة الماعون من حيث مكيتها ومدنيتها على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنها مكية كلها، حتى قال ابن عطية [ت٥٤٢هـ] : " وهي مكية بلا خلاف علمته" (١) ، وهذا القول عزاه ابن الجوزي [ت٥٩٧هـ] وأبو حيان [ت٧٤٥هـ] وغيرهما للجمهور (٢) .

ورجحه صاحب التفسير الحديث حيث قال :" وقد روي أن السورة مدنية كما روي أن آياتها الثلاث الأخيرة فقط هي مدنية. ومع احتمال صحة الرواية الأخيرة استلهاما من مضمون الآيات، فإننا نميل إلى ترجيح كونها مكية جميعها وكونها عرضا عاما لأهداف الدعوة "(٣) .

القول الثاني : أنها مدنية كلها ، وهذا القول اقتصر عليه القاسمي في محاسن التأويل (٤) ، ثم قال بعد أن انتهى من تفسير السورة الكريمة : "

" تنبيه : المعني بهذه الآيات أولا وبالذات المنافقون في عهد النبوة. ويدخل فيها ثانيا وبالعرض، كل من وجد فيهم تلك الخلال الذميمة اعتبارا بالعموم. فالسورة مدنية " (٥) .

---

(١) المحرر الوجيز : ٥ / ٥٢٧ ؛ وانظر : تفسير مقاتل بن سليمان : ٤ / ٨٦٩ ؛ تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين : ٥ / ١٦٦ .

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير : ٤ / ٤٩٥ ؛ البحر المحيط في التفسير : ١٠ / ٥٥٢ .

(٣) التفسير الحديث : ٢ / ١٨ .

(٤) انظر : محاسن التأويل (٩ / ٥٥٢):

(٥) السابق : ٩ / ٥٥٣ .

وحكاه الإمام القرطبي في تفسيره وعزاه لقتادة ، وابن عباس في إحدى الروايتين عنه وغيرهما [١] .

القول الثالث : أنها نزل أولها في مكة ، وآخرها في المدينة ،وهذا القول اقتصر عليه ابن حزم في الناسخ والمنسوخ [٢] ، والزمخشري في الكشاف [٣] .

وهذا القول هو ما رجحه المحققون من المفسرين والمحدثين [٤] .

وذلك أن ما ذكر في صدر هذه السورة من تكذيب بالدين ، ودع لليتيم ،وإيذاء للمساكين أكثر ما جاء في السور المكية، وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها، إنما هو من صفة المنافقين الذين كانوا بالمدينة، [٥] .

ثم إن هذه السورة من أوائل ما نزل ، حيث إن ترتيبها في النزول : السابعة عشرة ، نزلت بعد سورة (التكاثر) [٦] ، ولم تكن الصلاة قد فرضت بعد ، فضلا عن أن يكون الجهر بها والمراءات فيها واقعا .

ومن هنا يبعد كل البعد ما ذكره العلامة ابن عطية مدافعا عن كون هذه السورة مكية كلها ، حيث قال : " ويروى أن هذه السورة نزلت في بعض المضطرين في الإسلام بمكة الذين لم يحققوا فيه وفتنوا فافتتنوا، وكانوا على هذه الخلق من الغشم وغلظ العشرة والفظاظة على المسلمين، وربما كان بعضهم يصلي أحيانا مع المسلمين مدافعة وحيرة فقال تعالى فيهم: فَوَيل للمصَلينَ الذينَ هم عَن صَلاتهم ساهونَ " [٧] .

ذلك أن مكة لم يكن فيها مضطرين إلى الإسلام حتى يصلي مع المسلمين مدافعا وحيرة .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي : ٢٠ / ٢١٠ .
(٢) انظر : الناسخ والمنسوخ لابن حزم : ١٠ .
(٣) انظر : الكشاف : ٤ / ٨٠٣ .
(٤) انظر : حاشية الشهاب : ٨ / ٤٠٠ ؛ التحرير والتنوير : ٣٠ / ٥٦٣ .
(٥) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ٥١٦ .
(٦) انظر : بيان المعاني : ١٧٢ .
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٥ / ٥٢٧ .

ثالثا : اختلف فيمن نزل فيه صدرها على أقوال عدة منها :

١ . قال مقاتل والكلبي : " نزلت فى العاص ابن وائل السهمي ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي .

٢ . قالَ ابن جرَيج: نزلت في أبي سفيَانَ بن حَرب كَانَ يَنحَر كل أسبوع جَزورَين، فَأَتَاه يَتيم فَسَأَلَه شَيئا فَقَرَعَه بعَصَا، فَأَنزَلَ الله تَعَالى فيه هذه الآيات (١) .

٣ . قال الضحاك : نزلت في عمرو بن عائذ

٤ . قال السدي نزلت في الوليد بن المغيرة (٢) .

وعلى كل حال فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؛ فالسورة الكريمة عامة تتناول بهذا الوعيد الشديد كل من فعل مثل فعل هؤلاء في كل زمان ومكان .

وأما آخرها ؛ فأخرج ابن المنذر عن طريف بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله فويل للمصلين الآية قال نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا ويمنعونهم العارية (٣) .

رابعا : هذه السورة ترتيبها في المصحف : السابعة بعد المائة .

وآياتها : سبع آيَات في الكوفي والبصري وست في عدد البَاقينَ ؛ وذلك أن آية ({يراؤون}) عدهَا الكوفي والبصري وَلم يعدها البَاقون .

وكلماتها : خمس وَعشرونَ كلمة ككلم أم القرآن.

مئة وَثَلَاثَة عشر حرفا على المختار من اختلاف العلماء في عد بعض الحروف ، وقيل : مائة وخمسة وعشرين حرفا (٤) .

وكلها محكمة ، ليس فيها شيء من الناسخ والمنسوخ (٥) .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان : ٤ / ٨٧١ ؛ أسباب النزول للواحدي : ١ / ٤٦٥ .
(٢) انظر : زاد المسير : ٤ / ٤٩٥ ؛ تفسير القرطبي : ٢٠ / ٢١٠ .
(٣) انظر : لباب النقول : ١ / ٢١٦ .
(٤) انظر : بيان المعاني : ١٧٢ ؛ البيان في عد آي القرآن : ٢٩١ .
(٥) انظر : الناسخ والمنسوخ لابن حزم : ١٠ .

خامسا : أسماؤها :

تسمى هذه السورة بعدة أسماء متفاوتة في الشهرة وعدمها ، وبيان ذلك كما يلي :

١ . سورة الماعون : وهذا أشهر أسمائها الذي سميت به في أكثر المصاحف وكتب التفسير ؛ لورود لفظ الماعون فيها دون غيرها [١] .

٢ . سورة : (أرأيت) وهذا الاسم عنون لها به الإمام البخاري في صحيحه [٢] ، كما سماها به كثير من المفسرين في تفاسيرهم [٣] .

٣ . سورة : التكذيب : وهذا الاسم ذكره البقاعي ، والشهاب الخفاجي ؛ والآلوسي وغيرهم [٤]

٤ . سورة : الدين : وهذا الاسم سماها به هبة الله بن سلامة [ت٤١٠هـ] [٥] ، وابن حزم [ت٤٥٦هـ] في الناسخ والمنسوخ واقتصر عليه وحده [٦]كما ذكره ابن عادل [ت٧٧٥هـ] والخطيب الشربيني [ت٩٧٧هـ] ، وظاهر عبارتهما أنه الاسم الأصلي لها حيث قالا : سورة (الدين) وتسمى سورة : (الماعون) [٧] .

٥ . سورة اليتيم وهذا الاسم ذكره الشوكاني [ت١٢٥٠هـ] في فتح القدير ، ومحمد صديق خان [ت١٣٠٧هـ] في : (نيل المرام من تفسير آيات الأحكام) [٨] .

---

(١) انظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٥٦٣ .

(٢) انظر : صحيح البخاري . كتاب التفسير : ٦ / ١٧٧ .

(٣) انظر : تفسير مجاهد : ٧٥٣ ؛ تفسير عبد الرزاق :٣ / ٤٦٣ ؛ تفسير الطبري ت شاكر :٢٤ / ٦٢٧ ؛ تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين :٥ / ١٦٦ ؛ الهداية الى بلوغ النهاية :١٢ / ٨٤٥٩ ؛ تفسير السمعاني :٦ / ٢٨٨ .

(٤) انظر : مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (للبقاعي) : ٣ / ٢٥٢ ؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٢٢ / ٢٧٥؛ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٨ / ٤٠٠ ؛ روح المعاني : ١٥ / ٤٧٤ .

(٥) انظر : الناسخ والمنسوخ للمقري : ١ / ٢٠٥ .

(٦) انظر : الناسخ والمنسوخ لابن حزم : ١ / ٦٧ .

(٧) انظر : اللباب في علوم الكتاب : ٢٠ / ٥١١ ؛ السراج المنير : ٤ / ٥٩٣ ؛

(٨) انظر : فتح القدير للشوكاني : ٥ / ٦١١ ؛ نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : ١ / ٤٦٧ .

سادسا : مناسبتها لما قبلها :

ترتبط سورة الماعون بما قبلها من وجوه ثلاثة:

أولها : أن الله عز وجل ذم في السورة السابقة [سورة قريش] الجاحدين لنعمة الله

١ الذين أَطعَمَهم من جوع وذم في هذه السورة من لم يحض على طعام المسكين.

٢ **ثانيها :** أن الله أمر في السورة السابقة بعبادته وحده وتوحيده: ليَعبدوا رَب هذَا البَيت وذم في هذه السورة الذين هم عن صلاتهم ساهون،.

ثالثها : أن الله تعالى عدد في السورة السابقة نعمه على قريش، وهم مع ذلك ينكرون البعث، ويجحدون الجزاء في الآخرة، وأتبعه هنا بتهديدهم وتخويفهم من عذابه لإنكار الدين، أي الجزاء الأخروي [١] .

سابعا : مناسبتها لما بعدها :

إن المناسبة بين سورة الماعون وسورة الكوثر وثيقة ؛ فهي تقابلها من وجوه عدة منها ما يلي :

١ . أن الله تعالى ذكر أنه أعطىلرسوله . صلى الله عليه وسلم . الكوثر في ، قوله: إنا أَعطَيناكَ الكَوثَرَ وهو خير كثير دائم ، وذلك في مقابلة البخل الذي اتصف به كفار قريش في قوله: يَدع اليَتيمَ، وَلا يَحض عَلى طَعام المسكين) ؛ فكأنه تعالى قال لرسوله : كما أعطيناك الكوثر ؛ فأعط الكثير ، ولا تبخل .

٢ . أن الله عز وجل أمر رسوله بالمواظبة على الصلاة ، والمحافظة عليها في قوله: ﴿ فصل ﴾ [٢] وذلك في مقابلة سهو المنافقين عن الصلاة في قوله: الذينَ هم عَن صَلاتهم ساهونَ.

(١) انظر : روح المعاني : ١٥ / ٤٧٤ ؛ التفسير المنير للزحيلي (٣٠ / ٤١٩ ، ٤٢٠ .
(٢) سورة : .

٣ . أنه تعالى أمر رسوله بالإخلاصفي الصلاة في قوله: فَصَل لرَبكَ أي لرضا ربك، لا لمراءاة الناس، وذلك في مقابلة مراءاة المنافقين في الصلاة في قوله: الذينَ هم يراؤنَ) .

٤ . أنه تعالى أمر رسوله بالتصدق بلحم الأضاحي على الفقراء، وذلك في مقابلة منع الماعون ومنع الخير والزكاة في قوله : (ويمنعون الماعون) [١] .

٥ . أنه تعالى وصف الكافرين والمنافقين في سورة الماعون بهذه الصفات القبيحة ، ثم بين في سورة الكوثر أن اتصافهم بهذه الصفات لن يبقي لهم ذكرا حسنا بعد موتهم بقوله : ﴿إن شانئك هو الأبتر ﴾ [٢] .

٦ . أن سورة الماعون صورت قمة البخل المادي والفقر الروحي ، وسورة الكوثر صورت قمة العطاء الرباني والجود الإنساني ، والثراء الروحي .

٧ . أن سورة الماعون تحدثت عن أخبث الكفرة ، وسورة الكوثر خاطبت أكمل الناس إيمانا ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثامنا : مقاصدها :

من مقاصد هذه السورة ما يلي :

١ . أن هذه السورة الصغيرة ذات الآيات السبع القصيرة تعالج حقيقة ضخمة تكاد تبدل المفهوم السائد للإيمان والكفر تبديلا كاملا .

فقد يقول الإنسان بلسانه: إنه مسلم وإنه مصدق بهذا الدين وقضاياه. وقد يصلي، وقد يؤدي شعائر أخرى غير الصلاة ولكن حقيقة الإيمان وحقيقة التصديق بالدين تظل بعيدة عنه ويظل بعيدا عنها، لأن لهذه الحقيقة علامات تدل على وجودها وتحققها. وما لم توجد هذه العلامات فلا إيمان ولا تصديق مهما قال اللسان، ومهما تعبد الإنسان!.

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب : ٣٢ / ٣٠٧ ؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٢٢ / ٢٨٧ ؛ التفسير المنير للزحيلي : ٣٠ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

(٢) سورة : .

٢ . أن هذا الدين ليس دين مظاهر وطقوس ولا تغني فيه مظاهر العبادات والشعائر، ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله ٣ . أن هذا الدين ليس أجزاء وتفاريق موزعة منفصلة، يؤدي منها الإنسان ما يشاء، ويدع منها ما يشاء..

إنما هو منهج متكامل، تتعاون عباداته وشعائره في تحقيق الخير للفرد والجماعة.

٤ . التعجيب من حال من كذبوا بالبعث وتفظيع أعمالهم من الاعتداء على الضعيف واحتقاره والإمساك عن إطعام المسكين، والإعراض عن قواعد الإسلام من الصلاة والزكاة لأنه لا يخطر بباله أن يكون في فعله ذلك ما يجلب له غضب الله وعقابه [١] .

(١) انظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٥٦٤ ؛ الموسوعة القرآنية : ١٢ / ٢٢١ .

المبحث الأول

الأبعاد الإنسانية في سلوك الكافرين ،

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول "التكذيب بالدين وأثره في سلوك الفرد" .

المطلب الثاني : "**دع اليتيم من مظاهر قسوة القلب**: .

المطلب الثالث : "عدم الحض على طعام المسكين من مظاهر حب الدنيا" .

المطلب الأول :

التكذيب بالدين وأثره في سلوك الفرد

قال الله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ ﴾ .

فقد تحدثت هذه الآية الكريمة عن أحد المكذبين بالدين من مشركي مكة ، واستهلت بهذا الاستفهام المثير": ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ ﴾ ؛ لأن الأصل في الاستفهام أن يكون من سائل يطلب الفهم ويستفسر عما يجهل، أما حين يكون المستفهم على علم بما يستفهم عنه، فإن الاستفهام يخرج بذلك عن أصل معناه في الوضع اللغوي، إلى المجاز البلاغي.

والراجح أن سره البياني كشف الاستفهام عما يبدو للناس واضحا غير خفي، ويحسبونه معلوما غير مجهول، إذ ليس التكذيب بالدين مظنة خفاء، والناس يحسبونه أنه يكفي المرء تصديق بالدين لأن ينطق الشهادتين ويؤدي العبادات المفروضة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

ومن ثم يأتي الاستفهام عما يحسبه الناس مستغنيا عن كل بيان، فيثير أقصى اليقظة والانتباه، ويرهف الدهشة والترقب انتظارا لجواب غير متوقع، وتطلعا إلى معرفة ماذا يكون التكذيب بالدين غير الذي يعلمون منه بالضرورة؟ (١) .

والمخاطب بهذا الاستفهام يحتمل وجهين :

أحدهما : أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانيهما : أنه خطاب لكل عاقل أي أرأيت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح تبيانه أيفعل ذلك لا لغرض، إذ لا يليق بالعاقل جر العقوبة الأبدية إلى نفسه من غير غرض أو لأجل الدنيا، فكيف يليق بالعاقل أن يبيع الكثير الباقي بالقليل الفاني (٢)

(١) انظر : التفسير البياني للقرآن الكريم : ٢ / ١٨٣ ، ١٨٤ .
(٢) انظر : مفاتيح الغيب : ٣٢ / ٣٠١ .

والحمل على العموم أولى ؛ لأن القرآن وإن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه خطاب لكل من بلغه ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [١] .

فالهمزة للاستفهام ، وهي حرف مشترك: يدخل على الأسماء والأفعال، لطلب تصديق، نحو: أزيد قائم؟ أو تصور، نحو: أزيد عندك أم عمرو [٢] .

والرؤيَة: إدراك المَرئي، وذلك يكون على أضرب عدة بحسب قوى النفس ، منها :

١ . تكون الرؤية بالحاسة وما يجري مجراها، نحو قوله تعالى : ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [٣] .

٢ تطلق الرؤية ويراد بها الوهم والتخيل ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [٤] :

٣ . تكون الرؤية : بالعقل، وعلى ذلك يحمل قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [٥، ٦] .

وكلمة ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ تحتمل ثلاثة أوجه :

الأول : أن تكون بصرية ؛ فتتعدى لمفعول واحد ، وهو الموصول كأنه قال: أبصرت المكذب بالجزاء، أو بالإسلام [٧] .

---

(١) جزء من الآية ١٩ من سورة : الأنعام .
(٢) انظر : الجنى الداني في حروف المعاني : ١ / ٣٠ .
(٣) سورة : التكاثر : ٦ ، ٧ .
(٤) سورة : الأنفال : ٥٠ .
(٥) سورة : النجم : ١١ .
(٦) انظر : المفردات في غريب القرآن : ٣٧٤ .
(٧) انظر : مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢ / ٦٦٧ .

الثاني : أن تكون علمية ، وعلى هذا فتتعدى لاثنين، أولهما: الاسم الموصول والثاني: محذوف، والتقدير: أعرفت الذي يكذب بالدين من هو؟ إننا نحن الذين نعرفك صفاته ؛ فإن أمره عجيب ؛ ولذا لم تستعمل في مثل هذا التعبير في غير الأمر العجيب، كقوله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ [١، ٢] .

الثالث : أن (أرأيت) بمعنى : أخبرني، وتتعدى لاثنين، الأول «الذي» ، والثاني جملة استفهامية مقدرة أي : أليس مستحقا للعذاب، وموضع تقديرها بعد قوله {المسكين} [٣] .

بل زعم أصحاب هذا القول أن همزة الاستفهام إذا دخلت على "رأيتَ" امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب، وصار بمعنى "أخبرني [٤] .

قوله : ﴿ ٱلَّذِى ﴾

قوله: ﴿ يُكَذِّبُ ﴾ فعل مضارع من الكذب ، وهو :: نقيض الصدق [٥] .

قوله : ﴿ بِٱلدِّينِ ﴾

أصل الدين في اللغة : الذل والانقياد والطاعة

ومنه قَوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِيَأخذَ أَخَاه في دين المَلك : ﴾ [٦]، أي : في طَاعَته، أو في حكمه ، ومنه الدين ؛ وَلِذَلِكَ يَقولونَ " الدين ذل بالنهَار، وَغَم بالليل [٧] .

---

(١) سورة : العلق : ٩ ، ١٠ .
(٢) انظر : صفوة التفاسير : ١ / ٥٥٠ ؛ التفسير الوسيط ـ طنطاوي : ١٥ / ٥١٨ .
(٣) انظر : المجتبى من مشكل إعراب القرآن : ٤ / ١٤٨٦ .
(٤) انظر : البرهان في علوم القرآن : ٤ / ١٧٨ ؛ الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١٦٩ ؛ معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٢ / ٤٣ ؛ مختصر في قواعد التفسير : / ٢٠ .
(٥) انظر : المحكم والمحيط الأعظم : ٦ / ٧٩٠ .
(٦) سورة : يوسف ٧٦ .
(٧) انظر : مقاييس اللغة : ٢/ ٣٢٠ (دين) .

واختلف في المراد بالدين ـ هنا ـ على أقوال ، منها :

١ ـ قال ابن عباس : الدين ـ هنا ـ حكم الله ـ ﷻ ـ [١] .

٢ ـ ـ قيل الدين ـ هنا ـ القرآن [٢] .

٣ ـ قال ابن جريج: الدين ـ هنا ـ الحساب والجزاء يوم القيامة [٣] .

وهذا ما رجحه الإمام الفخر الرازي [٦,٦هـ] حيث قال : "وَحَمله عَلَى هَذَا الوَجه أَولَى لأَن مَن ينكر الإسلَامَ قَد يَأتي بالأَفعَال الحَميدَة وَيَحتَرز عَن مَقَابحهَا إذَا كَانَ مقرا بالقيَامَة وَالبَعث، أَما المقدم عَلَى كل قَبيح من غَير مبَالَاة فَلَيسَ هوَ إلا المنكر للبعث والقيامة" [٤] .

التكذيب بالدين رأس كل شر :

فإن من أهم أسباب الشقاء والانحراف والضلال في الدنيا: هو إنكار يوم القيامة أو يوم الجزاء والحساب، فلو صدق الناس به تصديقا تاما، لما تجرأ واحد منهم على العصيان والمخالفة، أو الكفر والجحود، أو إهمال الفرائض الإلهية، وتجاوز الآداب والأخلاق القويمة، لأن الخوف من العقاب والتهديد بالعذاب لا ينفع غير المؤمنين بوجود عالم الآخرة، وتذكير السامع بالتخلص من أمراض العصيان، والقسوة على المحتاجين، ومراءاة الناس، ومنع مساعدة الجيران وحجب وسائل العون عنهم وعن غيرهم، إنما يفيد المصدقين بالقيامة، [٥] .

ولذلك فرع على التكذيب بالدين هذه الخصال الذميمة .

(١) أخرجه : الإمام الطبري في تفسيره (جامع البيان) ت شاكر : ٢٤/ ٦٢٩ .

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير : ٤/ ٤٩٥ .

(٣) أخرجه : الإمام الطبري في تفسيره (جامع البيان) ت شاكر : ٢٤/ ٦٢٩ .

(٤) انظر : مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٣٠٢ .

(٥) انظر : التفسير الوسيط للزحيلي : ٣/ ٢٩٤٠ .

فالفاء . في قوله تعالى : ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ ﴾ للسببية أي لما كان كافرا مكذبا كان كفره سببا لدع اليتيم [١] .

ومن المعلوم أن المكذب بالدين متصف بصفات قبيحة كثيرة ؛ وإنما اقتصر على هذين الوصفين ؛ لعدة أمور ، منها :

١ . أنه ذكرهما على سبيل التمثيل ؛ فذكر تعالى واحدا من باب الأفعال وهو : دع اليتيم ، وواحدا من باب التروك وهو : عدم الحض على طعام المسكين تنبيها بذكرهما على سائر القبائح .

٢ . أن هاتين الخصلتين، كما أنهما قبيحتان منكرتان بحسب الشرع فهما أيضا مستنكرتان بحسب المروءة والإنسانية [٢] .

٣ . أن التكذيب بيَوم الدين وإن كان يَحمل عَلَى كل الموبقَات، إلا أَن أكثرها تَجد مَا يَمنَع منهَا، كَالقَتل وَالزنَا وَالخَمر لتَعَلق حَق الآخَرينَ بها ، وَكَذَلكَ السرقَة وَالنهب.

أَما إيذَاء اليَتيم وَضَيَاع المسكين، فَلَيسَ هنَاكَ مَن يَدفَع عَنهما، وَلَا يَمنَع إيذَاءَ هَؤلَاء عَنهمَا، وَلَيسَ لَدَيهمَا الجَزَاء الذي يَنتَظره أولَئكَ منهم عَلَى الإحسَان إلَيهم.

فإن النفوس جبلَت عَلَى أَلا تَبذلَ إلا بعوَض، وَلَا تَكف إلا عَن خَوف، فَالخَوف مَأمون من جَانبَي اليَتيم وَالمسكين، وَالجَزَاء غَير مَأمول منهمَا، فَلَم يَبقَ دَافع للإحسَان إلَيهمَا، وَلَا رَادع عَن الإسَاءَة لَهمَا إلا الإيمَان بيَوم الدين وَالجَزَاء، فَيحَاسَب الإنسَان عَلَى مثقَال الذرة منَ الخَير، أو الشر [٣] .

(١) انظر : مفاتيح الغيب : ٣٢ / ٣٠٢ .
(٢) انظر : مفاتيح الغيب : ٣٢ / ٣٠٢ .
(٣) انظر : أضواء البيان : ٩ / ١١٤ ، ١١٥ .

وفي الآية الأخرى توجيه للجواب ، وهو أن المؤمن يخاف من الله يوما عبوسا، وعبر بالعبوس في حق يوم القيامة ، لئلا يعبس هو في وجه اليتيم والمسكين لضعفهما .

ومن جانب آخر فإن كان التكذيب بيوم الدين ، يحمل على كل الموبقات ، إلا أنها قد تجد ما يمنع منها ، كالقتل والزنى والخمر لتعلق حق الآخرين ، وكذلك السرقة والنهب .

أما إيذاء اليتيم وضياع المسكين ، فليس هناك من يدفع عنه ، ولا يمنع إيذاء هؤلاء عنهما ، وليس لديهما الجزاء الذي ينتظره أولئك منهم على الإحسان إليهم .

وجبلت النفوس على ألا تبدل إلا بعوض ، ولا تكف إلا عن خوف ، فالخوف مأمون من جانبي اليتيم والمسكين ، والجزاء غير مأمول منهما ، فلم يبق دافع للإحسان إليهما ، ولا رادع عن الإساءة لهما إلا الإيمان بيوم الدين والجزاء ، فيحاسب الإنسان على مثقال الذرة من الخير .والشر .

والله أعلم .

المطلب الثاني : " ـ

دع اليتيم من مظاهر قسوة القلب::

قال الله تعالى : ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ ﴾ .

فقد تحدثت هذه الآية الكريمة عن الوصف الأول من أوصاف المكذب بالدين ، بينت أنه يدع اليتيم ؛ لأنه قد نزعت الرحمة من قلبه .

ومع أن هذه الآية الكريمة قليلة الأحرف والكلمات إلا أنها أفادت معنى كبيرا لأن كل كلمة فيها تحدث وقعا قويا في النفس ، وبيان ذلك كما يلي

١ ـ التعبير باسم الإشارة ؛وذلك لتَنزيله مَنزلَةَ الظاهر الوَاضح بحَيث يشَار إلَيه.؛ فيتميز أَكمَلَ تَمييز حَتى يَتَبَصرَ السامع فيه وَفي صفَته، (١) .

٢ ـ العدول من الإشارة للقريب إلى الإشارة للبعيد ؛ لأن هذا العدول في مثل هذا الموضع يقصد به التحقير تنزيلا لبعده عن ساعة الحضور والخطاب منزلة بعد المسافة؛ ؛ لأن الحقير عادة تنفر من٣ه النفس؛ فهو بعيد عن القلب والخاطر لا يلتفت إليه لحقارته، فينزل هذا البعد المعنوي منزلةَ البعد الحسي فتفيد الإشارة البعد المعنوي المشعر هنا بالتحقير (٢) .

فهو بغيض بعيد عن الله ، بعيد عن الناس ، بعيد عن الرحمة بالضعفاء .

٣ ـ التعبير بالاسم الموصول ؛ لأن في التعبير به زيَادَة تَشويق حَتى تَقرَعَ الصلَة سَمعَ السامع فَتَتَمَكن منه كَمَالَ تَمَكن.

وَأَصل ظَاهر الكَلَام أَن يقَالَ: أَرَأَيتَ الذي يكَذب بالدين فَيَدع اليَتيمَ (٣) .

٤ ـ أن كلمة (يدع) كلمة ثقيلة تناسب الثقل الذي يشعر به كل من كانت عنده مسكة من الإنسانية عندما يزجر يتيم ويطرد ؛ وذلك أن العرب يستعملون بعض

---

(١) انظر : التحرير والتنوير : ٣٠/ ٥٦٤ ٠

(٢) انظر : علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» ٠ص: ٣٢٥؛ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : ١/ ٣٠٣) ؛ البلاغة المعاني – جامعة المدينة ٠ص: ١٩٢٠

(٣) انظر : التحرير والتنوير : ٣٠/ ٥٦٤٠

الألفاظ الغريبة والثقيلة ولا تحسن إلا في موضعها، ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سيقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكأن في تأليف حروفها معنى حسيا، وفي تآلف أصواتها معنى مثله في النفس؛ (١) .

فالألفاظ العربية عموما ، والقرآنية خصوصا ، ليست جامدة بل هي ألفاظ حية، لها ظلالها، وإيحاءاتها، وقد هيأ التعبير القرآني للألفاظ نظاما ونسقا وجوا ملائما على أحسن ما يكون، تسمح للألفاظ بأن تشع وتوحي بالظلال والصور، وتتناسق مع الجو النفسي أو الشعوري العام الذي يرسمه، يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ (٢) .

فالدع هو الدفع بالظهور، والمدفوع في النار يصدر صوتا قريبا من جرس العين الساكنة، لذلك فإن الصورة اختارت في تشكيلها اللغوي هذا الحرف بالذات، لتكون الصورة المرعبة توحي بهيئة مخصوصة وهي الدفع في الظهور رغم إرادتهم، كما تجسم حالتهم النفسية وما هم عليه من خوف وفزع.

فاللغة العربية لغة تصويرية، يظهر ذلك في جميع استعمالاتها سواء أكانت حقيقية أم مجازية (٣) .

ولابد ـ هنا ـ من الإجابة عن سؤالين مهمين في هذا المقام

(١) انظر : تاريخ آداب العرب : ٢/ ١٥٢٠

(٢) سورة : الطور: ١٣.

(٣) انظر : وظيفة الصورة الفنية في القرآن :ص: ٥٢ .

أولهما من هو اليتيم ؟

وللإجابة عن هذا السؤال أقول

(اليتيم) هو من مات أبوه قبل أن يبلغ سواء كان ذكرا أم أنثى. فإن بلغ فإنه لا يكون يتيما ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم (لَا يتمَ بَعدَ احتلَام، وَلَا يتمَ عَلَى جَارِيَة إِذَا هيَ حَاضَت») [١] . ؛

. وكذلك لو ماتت أمه فإنه لا يكون يتيما، خلافا لما يظنه بعض العامة، أن اليتيم من ماتت أمه وهذا ليس بصحيح، وإنما يقال له عجي [٢] ، ومن مات أبواه يسمى : لطيما [٣] .

واليتيم في البهائم من ماتت أمه ، واليتم في الطير من قبَل الأَب والأم لأَنهما كلَيهما يشتركان في إطعام فراخَهما

وجَمع اليتيم : أَيتَام ويَتَامَى ويَتَمَة،

واختلف في الأصل اللغوي لليتم على أقوال عدة ، منها :

١ . قيل : أصل اليتم الانفراد وكل شَيء مفرَد بغَير نَظيره فَهوَ يَتيم. يقَال: درة يَتيمَة، أي لا نظير لها ؛ تنبيها على أنه انقطع مادتها التي خرجت منها .

٢ . وقيل : أَصل اليتم الغفلة، وسمي اليَتيم يَتيما لأَنه يتَغافَل عَن بَره

٣ . وقيل : أصل اليَتَم: الحاجة؛ قَالَ عمران بن حطان:

وفر عني منَ الدنيا وعيشَتها، ... فَلَا يكن لَكَ في حَاجَاتهَا

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير . عن حنظلة : : ٤ / ١٤ / ٣٥٠٢ ؛ وقال الهيثمي " رَوَاه الطبَرَاني، وَرجَاله ثقَات. " مجمع الزوائد : ٤ / ٢٢٦ / ٧١٥٤ ٠

(٢) أصل العجوَة والمعاجاة: أَن لَا يَكونَ لـلأم لبن يروي صَبيها فتعاجيه بشيء تعلله به سَاعَة، وَكَذَلكَ إن ولـيَ ذَلكَ منه غَيرَ أمه، ، وَاسم ذَلكَ الوَلد العَجي، والأنثى عجية ٠ انظر : لسان العرب : ١٥ / ٢٩ (عجو)

(٣) يطلق اللطيم في اللغة على التاسع من خَيل الحَلبة؛ وَذَلكَ أَنه يلطَم وجهه فَلَا يَدخل السرادق ؛ كما يطلق: على الصغير منَ الإبل الذي يفصَل عندَ طلوع سهَيل، وَذَلكَ أَن صَاحبَه يأخذ بأذنه ثم يَلطمه عندَ طلوع سهَيل وَيَستَقبله به ويَحلف أَن لَا يَذوقَ قَطرَةَ لَبَن بَعدَ يَومه ذَلكَ، ثم يَصر أَخلافَ أمه كلها ويَفصله منهَا، وَلهَذَا قَالَت العَرَب: إذا طَلَعَ سهيل، بَرَدَ الليل، وَامتَنَعَ القَيل، وَللفَصيل الوَيل؛ وَذَلكَ لأَنه يفصَل عندَ طلوعه ٠ انظر : لسان العرب : ١٢ / ٥٤٣ (لطم) ٠

فشبهوا من مات أبواه من الناس بذلك ؛ لما يعانيه من الويلات في الدنيا ٠

٤ . وقيل : أَصل اليتم الإبطاء، يقال : في سَيره يَتَم؛ بالتحريك، أَي إبطاء وَمنه أخذ اليَتيم لأَن البر يبطئ عَنه [١] .

ثانيهما : ما مدى عناية القرآن باليتامى :

والإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى مجلدات ، بيد أنني أكتفي بالتنبيه على عدة أمور ، منها :

١ ـ أن الاهتمام بأمر اليتيم ليس مطلبا شرعيا فحسب ، وإنما هو مطلب بحَسَب المروءَة وَالإنسَانية ؛ فهو وإن كان إسلاميا فهو ، إنساني قبل كل شيء [٢] .

ولهذا بين القرآن أنه ليس خاصا بأمة محمد ـ ﷺ ـ وإنما هو عام لجميع الأمم يقول الله تعالى عن بني إسرائيل : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ [٣] .

كما بين القرآن الكريم للناس أن أولادهم قد يشربون ـ غدا ـ من الكأس الذي يشرب منه اليتامى اليوم ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا** ﴾ [٤] .

فقد أمر الله ـ ﷻ ـ الأوصياء في هذه الآية الكريمة ان يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى وليشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن : ٨٨٩ ؛ لسان العرب : ١٢ / ٦٤٥ (يتم)؛ بيان المعاني : ٢ / ٤٨٦ .
(٢) انظر : تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٢/ ٣٤٢٠
(٣) سورة : البقرة : ٨٣ .
(٤) سورة : النساء : ٩ .

الشفقة والرحمة ﴿ فَلْيَتَّقُوا اللهَ : ﴾ في زراري غيرهم ﴿ وَلْيَقُولُوا قَوْلا سَدِيدا ﴾ (أي وليقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب ، ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ولا يؤذوهم [١] .

٢ ـ أن الله ـ ﷻ ـ حذر من إيذاء اليتيم ، بأي صورة من صور الإيذاء ، حيث قال تعالى مخاطبا رسوله ـ ﷺ ـ : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [٢] .

فالإيحاء النفسي للكلمة القرآنية {فَلَا تَقْهَر} إيحاء دقيق عميق ، فلا الظالم، ولا التسلط بما يؤذى، ولا منع الحق، يبلغ في التأثير ما يبلغه قوله تعالى: فلا تقهر. إذ يجوز أن يقع القهر، مع إنصاف اليتيم، وإعطائه ماله، وعدم التسلط عليه بالأذى: لأن حساسية اليتم، بحيث تتأثر بالكلمة العابرة، واللفتة الجارحة عن غير قصد، والنبرة المؤلمة بلا تنبة، وإن لم يصحبها تسلط بالأذى أو غلبة على ماله وحقه.

فإذا كان المخلوق لا يحل له أن يتسلط بالقهر على مخلوق مثله، فكيف باليتيم المحتاج إلى الرعاية والعطف؟! [٣] .

٣ ـ أن الله تعالى أمر بالإصلاح لليتامى ، حيث قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ [٤] .

ومن الإصلاح لهم : الحفاظ على أموالهم ، واستثمارها لهم وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [٥] .

(١) انظر : روح البيان : ٢/ ١٧٠ .
(٢) سورة : الضحى : ٩ .
(٣) انظر : التفسير البياني للقرآن الكريم : ١/ ٥٢ .
(٤) سورة : البقرة : جزء من الآية : ٢٢٠ .
(٥) سورة : النساء : ٥ .

فقوله : ﴿ وَارزقوهم فيهَا ﴾ أي اجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فيأكلها الإنفاق [١] .

فما أعظم هذا القرآن، إذ بهذا التعبير القصير أمرنا بالإنفاق عليهم، وأمرنا بتثمير مالهم لهم [٢] .

٤ ـ الوعيد الشديد على أكل مال اليتيم ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [٣] .

فقد بينت هذه الآية الكريمة أن من أكل مال يتيم بغير وجه حق؛ فله عذاب شديد في الدنيا والآخرة ؛ لأن اسم النار مستَعَارا للأَلَم بمَعنَى أَسبَاب الأَلَم فَيَكون تَهديدا بعَذَاب دنيَوي أَو مستَعَارا للتلَف لأَن شَأنَ النار أَن تَلتَهمَ مَا تصيبه، وَالمَعنَى إنمَا يَأخذونَ أَموَالا هيَ سَبَب في مَصَائبَ تَعتَريهم في ذَوَاتهم وَأَموَالهم كَالنار إذَا تَدنو من أَحَد فَتؤلمه وَتتلف مَتَاعَه، فَيَكون هَذَا تَهديدا بمَصَائبَ في الدنيَا] وَيَكون عَطف جملَة توَسَيَصلَونَ سَعيرا جَاريا عَلَى ظَاهر العَطف منَ اقتضَاء المغَايَرَة بَينَ المتَعَاطفَين، فَالجملَة الأولَى تَهديد بعَذَاب في الدنيَا، وَالجملَة الثانيَة وَعيد بعَذَاب الآخرَة. [٤] .

٥ ـ أن القرآن خص يتامى النساء بالحديث عنهن مع أن هن داخلات في أحكام اليتامى ، إلا أن القرآن أولاهن عناية خاصة ؛ لشدة ضعفهن ، حيث قاول تعالى: ﴿ وَيَستَفتونَكَ في النسَاء قل الله يفتيكم فيهن وَمَا يتلَى عَلَيكم في الكتَاب في يَتَامَى النسَاء اللاتي لا تؤتونَهن مَا كتبَ لَهن وَتَرغَبونَ أَن تَنكحوهن

(١) انظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ت الشعار : ١/ ٢٠٣ .
(٢) انظر : الأساس في التفسير : ٢/ ٩٩٧ .
(٣) سورة : النساء : ٢٠ .
(٤) انظر : التحرير والتنوير : ٤/ ٢٥٤ .

فقد بينت هذه الآية الكريمة أن حقوق يتامى النساء كانت ضائعة من وجهين :

الأول مذكور في قوله تعالى : ﴿التي لا تؤتونهن ما كتب لهن ﴾ أي من الميراث والصداق .

الآخر : مذكور في قوله تعالى : ﴿وترغبون أن تنكحوهن ﴾ ، فقد قَالَت السيدة عَائشَة رضي الله عنها : «هوَ الرجل تَكون عندَه اليَتيمَة هوَ وَليهَا وَوَارثهَا، فَأَشرَكَته في مَاله حَتى في العَذق، فَيَرغَب أَن يَنكحَهَا وَيَكرَه أَن يزَوجَهَا رَجلا، فَيَشرَكه في مَاله بمَا شَركَته فَيَعضلهَا، فَنَزَلَت هَذه الآيَة»[1] .

وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ [2] .

ومن هذا كله يتبين :

١ ـ أن القرآن الكريم اعتنى بأمر اليتامى عناية فائقة ، فاهتم بتربية اليتيم وبأمره من الناحية النفسية ومن الناحية المادية على السواء مراعاة لظروف اليتيم النفسية بعد فقد أبيه، فقد يحس بشيء من الذل أو القهر أو الانكسار، وراعى القرآن هذه الحالة النفسية مراعاة دقيقة؛ لأن الذي يشرع هو الذي خلق : **﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾** [3].ى الشر .

٢ ـ أن القسوة على اليتامى والضعفاء دليل على نزع الرحمة من القلب ، ولا تنزع الرحمة إلا من شقي .

٣ ـ أن الرحمة بالضعفاء علامة على الخير ، والقسوة عليهم علامة على الشر .

---

(١) أخرجه : البخاري في صحيحه ـ تفسير القرآن ـ قوله : (ويستفتونك في النساء ـ عن عروة بن الزبير : ٦/ ٤٩ / ٤٦٠٠ .

(٢) سورة : النساء : ١٢٧ .

(٣) سورة : الملك : ١٤

المطلب الثالث : " ـ

عدم الحض على طعام المسكين من مظاهر حب الدنيا

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾ .

فقد تحدثت هذه الآية الكريمة عن الصفة الثانية من صفات المكذب بالدين ، وبينت أنه لشدة بخله ترك إطعام المسكين ، كما ترك الحض على طعامه ؛ لأنه يكذب بالجزاء، وهذا غاية البخل، حيث بخل بماله وبمال غيره بالإطعام [١] .

والحض : التحريض على الشيء ، والحث عليه (٢) .

بيد أن الفرق بين الحض والحث من وجهين :

١ ـ أن الحث يكون في السير والسوق، والحض يكون فيما عداهما كالحض على العمل وجهاد وإطعام المساكين ونحو ذلك (٣)، .

٢ ـ أن الحض حث بضغط وقوة على عمل شاق غير محبب للنفوس ، ويمكن إرجاع استعماله في اللغة إلى الحضض وهو داء يشفي بعصارة الصبر، أو هو عصارة من أخلاط كريهة كانوا يتداوون بها. وحضوض: اسم جبل في البحر كانت العرب تنفى إليه خلعاءها [٤] .

ونفي الحض على طعام المسكين نفي لإطعامه بطريق الأولى، وهذا من دلالة فحوى الخطاب، أي لقلة الاكتراث بالمساكين لا ينفعونهم ولو نفع وساطة، بله أن ينفعوهم بالبذل من أموالهم.

---

(١) انظر : لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن : ٤/ ٤٧٨ .

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن : ٢٤١ .

(٣) انظر : الفروق اللغوية : ١ / ١٧٥ / ٦٩١ .

(٤) انظر : تاج العروس : ١٨/ ٢٩٤ ؛المعجم الاشتقاقي المؤصل : ١/ ٤٤٩ ؛ معجم اللغة العربية المعاصرة : ١/ ٥١٤ (حضض) ؛ التفسير البياني للقرآن الكريم : ٢/ ١٨٦ .

ويجوز أن يكون الحض على الطعام كناية عن الإطعام لأن من يحض على فعل شيء يكون راغبا في التلبس به فإذا تمكن أن يفعله فعله، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [١] ، أي عملوا بالحق وصبروا وتواصوا بهما[٢] .

والحق أنك لن تجد بخيلا أبدا يدعو إلى الإحسان، لأن كلمة الإحسان تفزعه، حتى لو نطق بها زورا وبهتانا.. فإذا دعا داع إلى الإحسان كان معنى هذا أنه يمكن أن يكون في المحسنين يوما ما.. وهذا هو السر في احتفاء القرآن الكريم بالحض على فعل المكارم، فمن حض على مكرمة، وجعلها دعوة له، كان قمينا بأن يكون من أهلها عملا، بعد أن كان من دعاتها قولا.. [٣] .

(طعام) يطلق الطعام على : تناول الغذاء وتذوقه. يقال: طعمت الشيء طعما. والطعام هو المأكول.

ثم يحمل على باب الطعام استعارة ما ليس من باب التذوق، فيقال: استطعمني فلان

الحديث، إذا أرادك على أن تحدثه. والإطعام يقع في كل ما يطعم، حتى الماء. قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ [٤] .. وقال عليه السلام في زمزم: «إنها طعام طعم، وشفاء سقم» .

وقال بعضهم: إنما سمى الماء طعاما في قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ ﴾

تنبيها أنه محظور أن يتناول إلا غرفة مع طَعَام، كما أنه محظور عليه أن يشربه إلا غرفة، فإن الماء قد يطعَم إذا كان مع شيء يمضغ، ولو قال: ومن لم يشربه لكان يقتضي أن يجوز تناوله إذا كان في طَعَام، فلما قال: وَمَن لَم يَطعَمه بَينَ أنه لا يجوز تناوله على كل حال إلا قدر المستثنى، وهو الغرفة باليد، وقول النبي

(١) سورة : العصر : ٣ .
(٢) انظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٣٣٣ .
(٣) انظر : التفسير القرآني للقرآن : ١٦ / ١٦٨٦ .
(٤) سورة : البقرة : ٢٤٩

صلى الله عليه وسلم في زمزم: (إنه طَعَام طعم وشفَاء سقم) [١] ؛ فتنبيه منه أنه يغذي بخلاف سائر المياه [٢] .

والمراد بقوله : وَلا يَحض عَلى طَعام المسكين: وَلا يَحض عَلى إطعام طَعام المسكين، وأضاف «الطعام» إلى المسكين من حيث له إليه نسبة ما [٣] .

﴿ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ : اختلف في اشتقاقه على قولين :

أولهما : أنه مصدر ميمي مشتق من (السكون) سمي بذلك ؛ لأنه قليل الحركة والنهوض ، وسبب سكونه يرجع إلى أمور منها :

١ . ضَعفه وعجزه عَن الحَرَكَة في طَلَب القوت بسبب مرضه .

٢ . سكونه عن الحركة بسبب إلتجائه إلى غيره [٤] .

٣ . أن يكون استخذاءه وذله في الحياة منعاه من الحركة [٥] .

وهو على وزن مفعيل" ومفعيل من صيغ المبالغة ووجه المبالغة فيه ظاهر"[٦].

وعلى هذا فالميم فيه زائدة إلا أنها ثَبَتَت في اشتقاق هذه الكلمة، فقالوا: تَمَسكَنَ يَتَمَسكَن فهو متَمَسكن، وذلك كما تَثبت ميم تَمَندَلَ وتَمَدرَعَ من الندل والدرع، وذلك لا يَدل على أصالتها، لأن الاشتقاق قَضَى عليها بالزيادَة ،

والقياس في هذه الكلمات ونحوها : تَسَكنَ وتَدَرعَ وتَندلَ، مثل تَشَجعَ وتَحَلمَ ، غير أنه لما كثر لزوم الميم توهمَت أصلية [٧] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه دون قوله : (وشفاء سقم) صحيح مسلم . كتاب : فضائل الصحابة . باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه : ٤ / ١٩١٩ / ٢٤٧٣ ؛ وأخرجه البزار بتمامه عن أبي ذر ، انظر : مسند البزار (البحر الزخار) : ٩ / ٣٦١ / ٣٩٢٩ ؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير: ١ / ١٨٦/ ٢٩٥ ؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : "رَوَاه البَزار وَالطبَرَاني في الصغير، وَرجَال البَزار رجَال الصحيح" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :٣ / ٢٨٦ .

(٢) انظر : مقاييس اللغة (٣ / ٤١٠ ، ٤١١ ؛ المفردات في غريب القرآن : ٥١٩

(٣) انظر : المحرر الوجيز: ٥ / ٣٦١ .

(٤) انظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢ / ٢٧٠ .

(٥) انظر : تفسير الشعراوي : ٢ / ٧٣٦ .

(٦) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢ / ٢٧٠ ؛ وانظر : لسان العرب : ١٣ / ٢١٧ (سكن) .

(٧) انظر : الدر المصون : ١ / ٣٩٧ ؛ الصحاح تاج اللغة : ٥/ ٢١٣٧ (سكن) .

ثانيهما : أنه من (مسك) يقال : مَسَكَ به وأَمسَكَ به وَتماسَكَ وَتمَسكَ واستَمسَكَ ومَسكَ تَمسيكا كله بمَعنى احتَبَسَ [١] .

وعلى هذا فالمسكين محتبس عن اكتساب المال ؛ لعجزه عن العمل

ورغم أن الاشتقاقين مؤداهما واحد ؛ إلا أن المذهب الأول أصح ؛ لأنه مذهب أكثر العلماء ، قال الراغب الأصفهاني [ت٥,٢هـ] : " فالميم في ذلك زائدة في أصح القولين " [٢] .

ويجمع مسكين على : مَساكين ، ومسكينون كَمَا يقال : فَقيرونَ؛ وهذا يَعني أَن مفعيلا يَقَع للمذَكر وَالمؤَنث بلَفظ وَاحد نَحوَ محضير ومئشير، وإنما يَكون ذَلكَ مَا دَامَت الصيغَة للمبَالَغَة، فإذا لم يقصد به المبالغة قالوا للواحدة مسكينة يَعنونَ المؤَنثَ ويجمع الإناث على مسكينات [٣] .

وَإضَافَة الطعَام إلَى المسكين تَدل عَلَى أَن ذَلكَ الطعَامَ حَق المسكين، فَكَأَنه مَنَعَ المسكينَ مما هوَ حَقه، وَذَلكَ يَدل عَلَى نهَايَة بخله وَقَسَاوَة قَلبه وَخَسَاسَة طَبعه[٤].

الترغيب في إطعام المساكين والترهيب من حرمانهم :

لقد رغب القرآن الكريم في إكرام المساكين وإطعامهم والإحسان إليهم ، وجعل لذلك صورا عديدة ، منها :

١ ـ أنه قرن الإحسان إليهم بالإحسان إلى الوالدين ، حيث قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [٥] .

---

(١) انظر : تاج العروس : ٢٧ / ٣٣٣ (مسك)

(٢)المفردات في غريب القرآن : ٤١٨ ؛ وانظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢ / ١٩٣ ، ٢ / ٢٧٠ ؛ روح المعاني : ١ / ٣٠٨ .

(٣) لسان العرب : ١٣ / ٢١٧ (سكن) .

(٤) انظر : مفاتيح الغيب : ٣٢/ ٣٠٣ .

(٥) سورة : البقرة ، جزء من الآية : ٨٣ .

٢ ـ أنه جعل إيتاء المال للمساكين صنفا من أصناف البر الذي هو جماع كل خير ، حيث قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ (١)

٣ ـ أنه أمر بإعطائهم من الميراث إذا حضروا تقسيم التركة ، حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (٢) .

يقول سيدنا عبد الله بن عباس ـ ﷺ ـ: " إن نَاسا يَزعمونَ أَن هَذه الآيَةَ نسخَت، وَلاَ وَالله مَا نسخَت، وَلَكنهَا مما تَهَاوَنَ الناس" (٣) .

٤ ـ أنه جعل إطعامهم كفارة لكثير من الأخطاء القولية والفعلية التي تقع من المسلمين ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾ (٤) ، وقوله أيضا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة : البقرة ، جزء من الآية : ١٧٧ .

(٢) سورة : النساء : ٨ .

(٣) أخرجه : البخاري في صحيحه ـ الوصايا ـ قول الله تعالى ﴿ وَإِذَا حَضَرَ القسمَةَ أولوا القربَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكين ﴾ : ٤/ ٨ / ٢٧٥٩ .

(٤) سورة : المائدة جزء من الآية ٨٩ .

(٥) سورة : المائدة جزء من الآية ٩٥ .

٥ ـ أنه جعل لهم نصيبا من الغنائم ، حيث قال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

٦ ـ أنع جعل لهم نصيبا في الزكاة المفروضة ، حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

٧ ـ أنه جعل إطعام المساكين سببا في الوقاية من أهوال القيامة وسببا في دخول الجنة ، حيث قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (٣) .

ومن الملاحظ في هذه الآيات أنه وصف يوم القيامة بالعبوس ؛ تنفيرا من العبوس في وجه الضعفاء (٤) .

(١) سورة : الأنفال : ٤١ .
(٢) سورة : التوبة : ٦٠ .
(٣) سورة : الإنسان : ٨ ـ ١٢ .
(٤) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٩/ ١١٤ .

٨ ـ أنه جعل إطعام المساكين سببا في اقتحام العقبة ، حيث قال تعالى : ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ (١) .

فهذا مَثَل ضَرَبَه الله لمجَاهدَة النفس وَالهَوَى وَالشيطَان في أَعمَال البر، فَجَعَلَه كَالذي يَتَكَلف صعودَ العَقَبَة (٢) ؛ فلو أن هذا الإنسان حمل عَلَى نَفسه المَشَقةَ بعتق الرقَبَة وإطعام الجائعين لسهل عليه اقتحام الأمور الصعاب ، وتخطي العقبات الشداد.

ثم جاءت السنة المطهرة لتؤكد هذا الخلق القرآني الرفيع ؛ فأوصى النبي ـ ﷺ ـ أصحابه بحب المساكين والدنو منهم ومجالستهم (٣) .

وكان النبي ـ ﷺ ـ يدعو ربه فيقول : "اللهم إني أسألك فعل اَلخيرات، وترك اَلمنكرات، وحب المساكين" (٤) .

بل كان يدعو ربه فيَقول: "اللهم أَحيني مسكينا وَتَوَفني مسكينا وَاحشرني في زمرَة المَسَاكين " (٥) .

وكما رغب القرآن في إكرام المساكين فقد حذر من الاستخفاف بهم ، وتجاهلهم، وعدم إطعامهم ، وبين ذلك في صور عديدة ، منها :

١ ـ أنه حذر النبي ـ ﷺ ـ من طردهم من مجلسه إرضاء للكفرة ، ورغبة في إيمانهم ، حيث قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ

(١) سورة : البلد : ١١ ـ ١٦ .

(٢) انظر : تفسير البغوي – طيبة : ٨/ ٤٣١ .

(٣)أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر ـ ﷺ ـ ط الرسالة : ٣٥/ ٣٢٧/ ٢١٤١٥ ، وصححه الأرنؤوط .

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس ت شاكر : ٣/ ٤٥٨ / ٣٤٨٤ .

(٥)أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ـ عن أبي سعيد الخدري :٤/ ٣٥٨/ ٧٩١١ ؛ وصححه الذهبي في التلخيص .

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١) .

٢ ـ أن القرآن الكريم لم يستعمل الحض إلا في سياق الإنكار لعدم التواصي برعاية المسكين وإطعامه مع اقتران هذا الإنكار بالكفر بالله والتكذيب بالدين قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ (٢) .

٣ ـ أنه تعالى ذكر الحض دون الفعل، ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل (٣) .

٤ ـ أنه تعالى بين أن الكفر معدن الشح ، حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤) .

وبيان ذلك من وجوه :

(أ) أنه تعالى بين أن المال ماله ؛ فهو الذي رزقهم إياه ، وأمرهم أن ينفقوه ؛ فالبخلَ به في غَايَة القبح فَإن أَبخَلَ البخَلَاء مَن يَبخَل بمَال الغَير .

(ب) أنه تعالى أمرهم أن ينفقوا بعض ما رزقهم ، حيث قال: ﴿ أنفقوا مما رزقكم ﴾ ؛ ف(من) هنا للتبعيض / فلم ينفقوا .

(١) سورة : الأنعام : ٥٢ .
(٢) سورة : الحاقة : ٣٣ ـ ٣٧ ؛ وانظر : التفسير البياني للقرآن الكريم : (٢/ ١٨٦ ، ١٨٧ .
(٣) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٤/ ٦٠٥ .
(٤) سورة : يس : ٤٧ .

(ج) أن فَائدَة الشفَقَة على المساكين رَاجعَة إلَيهم؛ فَإن مَن لَا يَرزقه المتَمَول لَا يَموت إلا بأَجَله وَلَا بد من وصول رزقه إلَيه، لَكن السعيدَ مَن قَدرَ الله إيصَالَ الرزق عَلَى يَده إلَى غَيره [1] .

أسباب نفرة الكفرة من إطعام المساكين :

إنما ينفر الكفرة من إطعام المساكين ؛ لأسباب عدة ، من أهمها ما يلي :

١ ـ أن الإنسان يطعم المساكين : إما رغبة في ثواب الآخرة ، وإما رهبة من عقابها ، والكافر لا يؤمن بذلك .

٢ ـ أن المتفضل على غيره ينتظر المكافأة على المعروف ، والمساكين لا يستطيعون المكافأة ، وليس لهم في الدنيا من ينوب عنهم في ذلك

٣ ـ أن الحكمة عند هَؤلَاء الكفرة أن من جر إلى نفسه نفعا فهو الحكيم، ومن ضر نفسه فهو جائر غير حكيم، وهو إذا منع الصدقة نفع نفسه، وإذا أعطى للمسكين حقه ضرها؛ فلذلك لا يرغب فيها [2] .

٤ ـ أنهم كانوا يقولون : كيف نطعم المساكين ولو شاء الله أن يطعمهم لأطعمهم، ومن حرمهم الله نحن نحرمهم، وهذا كقولهم: (كن مع الله على المدبر)[3] ، بل روي أن أعرابيا كان يرعى إبله فجعل السمان في الخصب والمهازيل في المكان الجدب فقيل له في ذلك فقال: أكرم ما أكرم الله وأهين ما أهان الله، [4] .

ومن هذا يتبين أن النظام الاقتصادي الإسلامي هو أنجح نظام على وجه الأرض ؛ لأن الحياة البشرية بدون إيمان لا يمكن أن يقوم فيها نظام اقتصادي متراحم متعاطف. ومن ثم نلاحظ في كل من النظامين العالميين الحاليين الشيوعي والرأسمالي أن التكافل لا يقوم إلا بسيف القانون، أما في النظام الإسلامي فسيف

(١) انظر : مفاتيح الغيب : ٢٦/ ٢٨٧ .

(٢) انظر : تأويلات أهل السنة للماتريدي: ١٠/ ٦٢٤ .

(٣) هذا مثل ذكره :[الخوارزمي ت٣٨٣هـ] في الأمثال المولدة (باب : في تناول المولدين واستعاراتهم ص: ٢٠٢ ، مثل رقم : ٧٩٥ .

(٤) انظر : المحرر الوجيز : ٤/ ٤٥٦ ؛ التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي : ٢/ ١٨٤ .

التشريع قائم، ومع ذلك فللتراحم البشري وللتعاطف محله، وبدون ذلك لا تستقيم الحياة البشرية، فسيف القانون لا يطول كل الأحوال، والتراحم والتعاطف لا يكفيان في كل الحالات. (١) .

والخلاصة : أن البعد الإنساني في هذه الآية الكريمة له أثر عميق في نفس كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ويمكن إجماله فيما يلي :

١ ـ أن ازدراء المساكين ، وعدم الإحسان إليهم من سيما الكفرة ، حيث عده تعالى من أوصاف المكذب بالدين .

٢ ـ أن الإنسان إذا كان عاجزا عن مساعدة المسكين كان عليه أن يحث غيره من القادرين على ذلك ويدعوه إلى فعل الخير ، ويكرر ذلك دون كلل ، أو ملل ، وهذا مستفاد من التعبير بالفعل المضارع (يحض) .

٣ ـ أن ترك الحض على الإحسان إلى المساكين ـ مع القدرة عليه ـ إثمه عظيم .

٤ ـ أن المساكين لهم حق في أموال الأغنياء ، وهذا مستفاد من إضافة الطعام إليهم في : ﴿ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ .

٥ ـ أن من محاسن الإسلام أنه أوجب الإحسان إلى المساكين ؛ لأن الفقر أسكنهم وأضعفهم وكسر قلوبهم، فمن أجل هذا النقص الذي قدره الله ـ ﷻ ـ عليهم بحكمته أمرنا أن نحسن إليهم. جبرا لما حصل لهم من النقص والانكسار..

(١) انظر : الأساس في التفسير : ٨/ ٤٦٥٢ .

المبحث الثاني ؛

الأبعاد الإنسانية في سلوك المنافقين ،

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : " **السهو عن الصلاة من مظاهر التهاون بشأنها**" .

المطلب الثاني : "**الرياء من مظاهر حب الشهرة والرياسة**" .

المطلب الثالث : "**منع الماعون وأثره على الفرد والمجتمع**" .

المطلب الأول :

السهو عن الصلاة من مظاهر التهاون بشأنها" .

قال الله تعالى : ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ﴾

فقد بين الله ـ ﷻ ـ في هاتين الآيتين أن السهو عن الصلاة من سيما المنافقين، وتوعدهم على ذلك بالويل ؛ ولبيان أبعاد هذه القضية لابد من بيان الأمور الآتية :

أولا : مناسبة الكلام لما قبله :

أنه تعالى لما تحدث عن الكافرين المجاهرين بالكفر ، المنكرين ليوم القيامة ، وبين بخلهم وقسوتهم على الضعفاء ؛ أتبع ذلك ببيان صنف آخر من المكذبين بالدين ، وهم المنافقون ، وذلك من باب الترقي ؛ لأن المنافقين أخبث الكفرة ، فالمنافقون ضنوا بعبادتهم أن يجعلوها لله ، كما ضنوا بأتفه الأشياء على المحتاجين من خلق الله ؛ فالكفر والبخل والاستهزاء بالدين والقسوة على الضعفاء والمحتاجين ـ قاسم مشترك بين الصنفين جميعا .

ثانيا : تحليل النص :

قوله : ﴿ فَوَيۡلٞ ﴾ .

{الفاء}: واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: إذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ، فويل للمصلين المذكورين؛ لأن السهو عن الصلاة من سمة المنافقين المكذبين بالدين أيضا(١) .

وأَصل الوَيل في اللغَة العَذاب والهَلاك والحزن والحسرة ؛ فيقال : وَيل لزَيد ، ، وكل مَن وَقع في هَلَكة دَعا بالوَيل، وَمَعنَى النداء فيه يَا حَزَني وَيَا هَلاكي وَيَا عَذابي

(١) انظر : حدائق الروح والريحان : ٣٢/ ٣٧٠ ، ٣٧١ .

احضر فَهَذَا وقتك وأَوانك، فكأَنه نادَى الوَيل أَن يَحضره لما عَرض لَه منَ الأَمر الفَظيع [١] .

وإنما يدعَى به لمَن وَقَعَ في هَلَكة يَستَحقها ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [٢] .

، فإن وَقع في هَلَكة لَم يستَحقها قلتَ: وَيح لزَيد، لأن فيه مَعنَى التَرحم؛ وَمنه قَوله ـ ﷺ ـ: | وَيح ابن سمَية تَقتله الفئة الباغية " [٣] .

وفسر النبي ـ ﷺ ـ الويل بأنه : وَاد في جَهَنمَ يَهوي فيه الكَافر أَربَعينَ خَريفا قَبلَ أَن يَفرغَ من حسَاب الناس [٤] .

وهذا التفسير لا يراد به أن الوَيل في اللغة هو موضوع لهذا، وإنما يراد به أن من قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحق مقرا من النار، وثبت ذلك له [٥] .

ويجمع الويل على : ويلات (٦) .

قوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ﴾

فقد أثبت الحق تعالى لَهم الصلَاة، وَهيَ الهَيئَات التي يَفعَلونَهَا. ثم قَالَ: : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾ ؛ نَظَرا إِلَى أَنهم لَا يوقعونَهَا، كَمَا يوقعهَا المسلم منَ اعتقَاد وجوبهَا وَالتقَرب بهَا إِلَى الله تَعَالَى [٧] .

وقد اختلف اللغويون في الأصل اللغوي لكلمة (الصلاة) واشتقاقها اختلافا كثيرا ، بيد أنني أكتفي ببيان أرجح ما قيل فيها ؛ فأقول : أصل مادة (صلو)

(١) انظر : لسان العرب : ١١/ ٧٣٨ (ويل)

(٢) سورة : المطففين : ١ ٠

(٣)أخرجه أحمد في مسنده . عن أبي سعيد الخدري : ١٨ / ٣٦٧ ، رقم : ١١٨٦١ ٠

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ـ عَن أَبي سَعيد الخدري : ٢ / ٥٨٣ ، رقم : ٣٩٧٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ٠

(٥) انظر : المفردات في غريب القرآن : ٨٨٨ ٠

(٦) انظر : تهذيب اللغة : ١٥ / ٣٢٦ ، ٣٢٧ (ويل) ٠

(٧) انظر : البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٥٣)

و(صلي) تدل على لين ورخاوة في الشيء من الداخل مع تماسك ما بحيث يمكن التصرف فيه وتشكيله [١] .

وبالنظر في معاجم اللغة يتبين أن هذه المادة أطلقت على معان كثيرة كلها تدور حول هذا المعنى المحوري ، من ذلك ما يلي :

١ ـ الصلوان عظمان ينحنيان في الركوع والسجود [٢] .

٢ ـ صليت اللحم بالنار ، إذا شويته بها ليطيب ويلين [٣] .

٣ ـ الاصطلاء الاستدفاء بالنار ليلين ظهره وجسده .

٤ ـ صَلى العَصَا عَلَى النار وتَصَلاها: لَوحَها وأَدارَها عَلَى النار ليقَومَها إن كانت معوجة ويلَينَها ، حتى يتمكن من ثَني طرفها ليكون مَقبضا لها [٤] .

فيمكن بذلك تقويمها إن كانت معوجة، ويمكن أيضا ثَني طرفها ليكون مَقبضا لها

ومن هنا قال العلامة أبو البقاء الكفوي [ت١,٩٤هـ] "وَالحق أَن الصلَاة كلهَا وَإِن توهم اختلَاف مَعَانيهَا رَاجعَة إِلَى أصل وَاحد فَلَا تظنها لَفظَة اشترَاك وَلَا استعَارَة إنمَا مَعنَاهَا العَطف وَيكون محسوسا ومعقولا فَإِن الصلَاة في الأَصل انعطاف جسماني لأَنهَا من تَحريك الصلوين، ثم استعمل في الرحمَة وَالدعَاء لما فيهمَا من العَطف المَعنَوي، وَلذَا عدي بعلى" [٥] .

وعلى هذا فالصلاة حقيقة لغوية في تحريك الصلوين أي الأليتين، مجاز لغوي في الأركان المخصوصة لتحريك الصلوين فيها، استعارة في الدعاء تشبيها للداعي بالراكع والساجد في التخشع ، أو لأنه منها [٦] .

---

(١) انظر : المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣/ ١٢٤٤ (الصاد واللام وما يثلثهما) .

(٢) انظر : المطلع على ألفاظ المقنع ـ كتاب الصلاة : ص: ٦٣ .

(٣) انظر : مجمل اللغة لابن فارس ـ باب : الصاد واللام وما يثلثهما : ص: ٥٣٨ .

(٤) انظر : لسان العرب : ١٤/ ٤٦٧ ، ٤٦٨ ؛ المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣/ ١٢٤٤ (صلي) .

(٥)الكليات : ص: ٥٥٤ .

(٦) انظر : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : ٢/ ١٠٨١ .

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝ ﴾.

هذه الآية صفَة للمصَلينَ مقَيدَة لحكم المَوصوف ؛ لأن الوَيلَ للمصَلي الساهي عَن صَلَاته لَا للمصَلي عَلَى الإطلَاق .

وعلى هذا فقَوله : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝ ﴾.تَرشيح للتهَكم الوَاقع في إطلَاق وَصف المصَلينَ عَلَيهم [1] .

وعدي ﴿ سَاهُونَ ﴾ بـ (عن) ، دون (في) ؛ لأن معنى عَن: أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها، وذلك فعل المنافقين ، أو فسقة المسلمين .

ومعنى (في) : أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره [2] .

وقوله : ﴿ سَاهُونَ ﴾ :

السهو في اللغة : نسيَان الشيء، والغفلة عَنه، وَذَهَاب القلب إلَى غَيره ، يقال : سَها يَسهو سَهوا وسهوا فَهوَ ساه وسَهوان [3] .

والسهو عرفا هو : غَفلَة القلب عَن الشيء بحَيث يتَنَبه بأَدنَى تَنبيه .

والفرق بينه وبين النسيان : أنَ النسيَان : غيبَة الشيء عَن القلب بحَيث يحتَاج إلَى تَحصيل جَديد .

وَقيل: غفلتك عَما أَنت عَلَيه لتفقده سَهو وغفلتك عَما أَنت عَلَيه لتفقد غَيره نسيَان [4] .

(١) انظر : التحرير والتنوير : ٣٠/ ٥٦٧ .
(٢) انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٤/ ٨٠٥ .
(٣) انظر : المحكم والمحيط الأعظم : ٤/ ٤٠٦ (سهو) .
(٤) انظر : الكليات : ص: ٥٠٦

وقد تنوعت عبارات أهل التأويل في المراد بالسهو عن الصلاة ، بيد أن جل أقوالهم تدل على أنهم المنافقون الذين يتهاونون بشأن الصلاة ؛ فيتشاغلون عنها ويؤخرونها عن وقتها ، ويصلون أمام الناس إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا [١]

وهذه أقوال متقاربة ؛ لأن هذا هو شأن المنافقين ، الذين قال فيهم الحق جل في علاه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [٢] .

ثالثا : علاقة الصلاة بالبعد الإنساني :

لقد شرع الله ـ ﷻ ـ العبادة ، وجعل لها صوَرا كَثيرَة في كل شريعة منَ الشرائع ، وإنما فرضها الله تعالى لتَذكير العباد بذَلكَ الشعور بالسلطَان الإلَهي الأَعلَى الذي هوَ روح العبَادَة وَسرهَا، وَلكل عبَادَة منَ العبَادَات الصحيحَة أَثَر في تَقويم أَخلَاق القَائم بهَا وَتَهذيب نَفسه، وَالأَثَر إنمَا يَكون عَن ذَلكَ الروح، وَالشعور الذي هو مَنشَأ التعظيم وَالخضوع، فَإذَا وجدَت صورَة العبَادَة خَاليَة من هَذَا المَعنَى لَم تَكن عبَادَة، كَمَا أَن صورَةَ الإنسَان وهيكله المجرد عن الروح لَيسَ إنسَانا [٣] .

ولهذا كان الدين منهجا متكاملا ، تتعاون عباداته وشعائره ، وتكاليفه الفردية والاجتماعية ، حيث تنتهي كلها إلى غاية تعود كلها على البشر . . غاية تتطهر معها القلوب ، وتصلح الحياة ، ويتعاون الناس ويتكافلون في الخير والصلاح والنماء. . وتتمثل فيها رحمة الله السابغة بالعباد [٤] .

ومن هنا كانت الصلَاة التي هي عماد الدين لها أثر قوي في تهذيب أخلاق المؤمن ؛ ذلك أن الصلاة في حقيقتها نور يضيء ظلام القلوب، ويجلي غشاوة النفوس، لأنها أوثق الصلات التي تصل العبد بربه، وتقربه منه، وتعرضه لنفحات

(١) انظر : جامع البيان للطبري : ٢٤/ ٦٣٠ ، ٦٣٢ .
(٢) سورة : النساء : ١٤٢ .
(٣) انظر : تفسير المنار : ١/ ٤٨ .
(٤) انظر : المهذب في تفسير جزء عم : ص: ١٠٦٠ .

الرحمة، فتشيع فى كيانه الحب والحنان، حيث يضفيهما على عباد الله، وخاصة الضعفاء والفقراء، الذين وصى الله ـ ﷻ ـ بهم الأقوياء والأغنياء، واسترعاهم إياهم .

والصلاة لا تثمر هذا الثمر الطيب، ولا تؤتى هذا الأكل الكريم، إلا إذا كانت خالصة لله، يشهد فيها المصلى جلال خالقه، وعظمة ربه.. وذلك لا يكون حتى تصدق النية، وتخلص الرغبة، ويعظم اليقين في لقاء الله، والثقة في أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره [1] .

والذين يسهون عن الصلاة، ؛ فيغفلون عنها، ولا يشغلون أنفسهم بها، وبانتظار أوقاتها ليهيئوا أنفسهم لها، ويعدوها للقاء الله في محرابها– هؤلاء ليسوا مصلين في الحقيقة، وإن ركعوا، وسجدوا، لأن صلاتهم تلك إنما تقع عفوا، وتجيء حسب ما اتفق، وكأنها نافلة من نوافل الحياة، لا قدر لها ولا وزن! فهؤلاء هم الذين ينافقون الناس أو ينافقون أنفسهم بها، وهم لهذا لا ينتفعون بالصلاة، فلا يأتمرون منها بمعروف، ولا ينتهون بها عن منكر [2] .

ومن هنا أمر الله ـ ﷻ ـ بإقَامَة الصلاة ، دونَ مجَرد الإتيَان بهَا، وَإِقَامَة الشيء: هيَ الإتيَان به مقَوما كَاملا يَصدر عَن علته وَتَصدر عَنه آثَاره. .

ومن ثم بين القرآن الكريم بعض آثار الصلاة التي ينتفع بها من أقامها ، ومن هذه الآثار :

١ ـ أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾ [3] .

ذلك أن من أضاعها وقع في الشهوات ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [4] .

---

(١) اقتباس من الآية ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة .

(٢) انظر : التفسير القرآني للقرآن : ١٦/ ١٦٨٦ ، ١٦٨٧ .

(٣) جزء من الآية : ٤٥ من سورة العنكبوت .

(٤) سورة :

ومما لا شك فيه أن المسلم إذا تجنب الشهوات ، وتجنب الفحشاء ، وتجنب المنكرات بكل أشكالها ؛ كان محبوبا لدى الجميع ، وهذا يجعله في حاجة المحتاجين، وفي عون المستضعفين ، وفي نصرة المظلومين .

٢ ـ أنها من أعظم أسباب تزكية النفس وتحررها من الهلع والجزع والبخل وسيء الأخلاق ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١) .

فقد بينت هذه الآيات أن الصلاة تطهر المحافظ عليها من هذه الأخلاق الذميمة ، التي عدها النبي ـ ﷺ ـ من أخبث الأخلاق ، حيث قال : " شَر مَا في رَجل شح هَالع، وَجبن خَالع " (٢) .

فإذا تخلص الإنسان من الهلع والجزع والبخل ؛ فإنه ستكون عنده استطاعة على تحمل الشدائد والمصائب والفتن والمحن والأمراض والأوبئة ، وسيمنحه التخلص من البخل والشح خلق الإيثار ؛ فيعظم عند الله ، وعند الناس .

٣ ـ أن والصلاة تمنح المحافظ عليها قوة روحية ونفسية تعين المؤمن على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (٣) .

وهذا ما أكده النبي ـ ﷺ ـ بأقواله وأفعاله ؛ فعَن حذَيفَةَ بن اليمان ـ ﷺ ـ قَالَ : "كَانَ النبي ـ ﷺ ـ إذَا حَزَبَه أَمر، صَلى" (٤) .

---

(١) سورة : المعارج : ١٩ ـ ٢٣ خ٠

(٢) أخرجه : الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة : ١٣/ ٣٨٥ / ٨٠١٠ ، وصححه الأرناؤوط ٠

(٣) سورة :

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ـ الصلاة ـ وَقت قيَام النبي ـ ﷺ ـ منَ الليل: ٢/ ٣٥ / ١٣١٩ ، وحسنه الألباني ، انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٨٥٨ / ٤٧٠٣ ٠

٤ ـ أن المحافظة عليها يجعل المسلم ملتزما في جميع شؤونه ؛ فيحترم مواعيده ، كما يحترم أوقات الآخرين ؛ فهي ميزان لجميع الأعمال ؛ وذلك أن الله ـ ﷻ فرضها ، وجعل لها وقتا معلوما ، وأمر باحترام هذا الوقت ، حيث قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١) .

وقد فطن إلى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، حيث فقد كَتَبَ إلَى عماله: " إن أَهَم أَمركم عندي الصلَاة. فَمَن حَفظَهَا وَحَافَظَ عَلَيهَا، حَفظَ دينَه. وَمَن ضَيعَهَا فَهوَ لمَا سوَاهَا أَضيَع، " (٢) .

وبعد ـ فما أحوجنا إلى هذه الآثار الطيبة العظيمة ، خاصة في ظل هذا الضيف الثقيل الذي يتلون تلون الحرباء ، بل هذا الشر المستطير ، الذي لا يرحم صغيرا ، ولا يحترم كبيرا ، ولا يوقر ملكا ولا أميرا ؛ فقد أبى أن يرحل عن العالم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

ومن ذلك يتبين أن الصلاة ، وإن كان لها بعد إلهي ؛ فلها بعد إنساني لا يستهان به

والله أعلم .

(١) سورة : النساء : ١٠٣ .

(٢) أخرجه الإمام مالك في موطئه ـ كتاب : الصلاة ـ وقوت الصلاة عن نافع مولى عبد الله بن عمر ت عبد الباقي : ١/ ٦ / ٦ .

المطلب الثاني :

الرياء من مظاهر حب الشهرة والرياسة

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ ﴾ .

إن الحديث عن الرياء حديث يطول شرحه ، بيد أنني أوجزه فيما يلي :

أولا : تعريف الرياء :

(أ) الرياء في اللغة :

الرياء : مصدر الفعل راءى يرائي رياء ومراءاة ، يقال : رَاءَى فلَان يرَائي. أي فعل شَيئا ليرَاه الناس ، والرؤية النظر والإبصار بعين أو بصيرة ، وراءيت الرجل مراءاة ورياء: أريته أني على خلاف ما أنا عليه [١] .

(ب) الرياء اصطلاحا :

عرفه العلماء بتعاريف مختلفة في العبارة ، إلا أنها متفقة في المعنى :

١ . يقول صاحب كشاف اصطلاحات الفنون :هو ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه، وحده فعل الخير لإراءة الغير [٢] .

٢ ـ وعرفه ابن حجر العسقلاني بأنه : إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها [٣] .

ثانيا : العلاقة بينه وبين السمعة والنفاق :

(أ) العلاقة بين الرياء والسمعة :

إن المقصد من الرياء والسمعة شيء واحد وهو اكتساب ثنا أو مال أو جاه عند الناس غير أن السمعة تَتَعَلق بحَاسة السمع وَالريَاء بحَاسة البَصَر فَالسمعَة تعني : أَن يخفيَ عَمَلَه الصالح ثم يحَدثَ به الناس [٤] .

---

(١) انظر : مقاييس اللغة : ٢/ ٤٧٣ (رأى)
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : ١/ ٩٠٠ .
(٣) فتح الباري : ١١/ ٣٣٦ .
(٤) انظر : فتح الباري : ١١/ ٣٣٦

(ب) العلاقة بين الرياء والنفاق :

إن الرياء والنفاق بينهما عموم وخصوص مطلق يجتمعان في النفاق العملي وهو أن يظهر الإنسان علانية (العمل الصالح) ويبطن خلاف ما يظهر ، وينفرد النفاق بإظهار الإيمان وإبطان الكفر (وهو النفاق العقدي) ، وينفرد الرياء بأنه قد يكون في غير العبادات لطلب جاه

وعلى هذا فالمرائي يظهر النشاط ويكثر من الذكر لينال مكانة عند الناس بخلاف المنافق.

كما أن الأصل في الرياء الإظهار، والأصل في النفاق: الإخفاء ؛ إذ المرائي يظهر نيته الحقيقية في طلب المنزلة عند الناس، أما المنافق فإنه يخفي على الناس ما بداخله ويظهر خلافه [١] .

ثالثا : حكم الرياء :

أجمع المسلمون على تحريم الرياء ، وتعظيم إثمه ، بل عده ابن حجر الهيتمي [٩٧٤هـ] الكبيرة الثانية بعد الشرك بالله ـ ﷻ ـ وقال : " قَد شَهدَ بتَحريمه الكتَاب وَالسنة وَانعَقَدَ عَلَيه إجمَاع الأمة "[٢] .

وجعل ابن القيم [ت٧٥١هـ] يسير الرياء شركا أصغر [٣] ، وهذا يعني بمفهوم المخالفة أن كثيره شرك أكبر .

ومن هنا يختلف حكمه باختلاف درجاته ، وبيان ذلك كما يلي :

١ ـ من دخل في الدين رياء ؛ فهذا منافق مشرك شركا أكبر .

٢ ـ أن يرائي بالأعمال التي تركها كفر فهذا من الشرك الأكبر؛ لأن هذه الأعمال إذا تركت من غير رياء فهو كفر، وكذلك إذا فعلها مع الرياء فهي باطلة فكأنه تركها، فعملها مع الرياء عدم. كالصلاة المفروضة: .

٣ ـ أن يرائي بالأعمال التي ليس تركها كفر ، كالنوافل بأنواعها ؛ فهذا شرك أصغر.

---

(١) انظر : الفروق اللغوية للعسكري: ٢٢٨ ، ٢٢٩ ؛ حدائق الروح والريحان : ١١/ ٢٥ ؛ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم : ١٠/ ٤٥٥٣ .

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر : ١/ ٦٢ .

(٣) انظر : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : ١/ ٥٩ .

٤ ـ أن يبتدئ العمل لله ثم يطرأ عليه الرياء، فهذا على قسمين :

(أ) أن يطرأ عليه الرياء أثناء العمل ؛ فيجاهده حتى يتخلص منه، فهذا لا يضره لقوله – ـ ﷺ ـ –: ""إن اللهَ تَجَاوَزَ عَن أمتي مَا حَدثَت به أَنفسَهَا، مَا لَم تَعمَل أَو تَتَكَلم" (١) ..

(ب) أن يطرأ عليه الرياء أثناء العمل ؛ فيسترسل معه ولا يدافعه ؛ فهذا شرك أصغر يحبط العمل ـ على المذهب المختار ـ لقوله ـ ﷺ ـ : قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغنَى الشرَكَاء عَن الشرك ، مَن عَملَ عَمَلا أَشرَكَ فيه مَعي غَيري ، تَرَكته وَشركَه" (٢) .

٥ ـ أن يعمل العمل لله ويفرغ منه ثم يحدث الناس بما عمل قاصدا ثناءهم عليه ؛ فهذا ليس من باب الرياء ، وإنما هو من باب السمعة ، وهي كالرياء في إحباط العمل لقوله ـ ﷺ ـ ـ ﷺ ـ : "مَن سَمعَ سَمعَ الله به ، وَمَن رَاءَى رَاءَى الله به" (٣).

٦ ـ أن يعمل العمل لله ويفرغ منه ثم يحدث الناس بما عمل قاصدا اقتداءهم به ؛ فهذا ليسمن الرياء ، وإنما هو مأجور على عمله وعلى نيته ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٤) .

(١) انظر : جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط : ١/ ٨٣ ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه : ـ كتاب :الطلاق ـ باب : الطلاق في الإغلاق والكره ـ عن أبي هريرة : ٧/ ٤٦ / رقم (٥٢٦٩) ٠

(٢) ينظر : جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط : ١/ ٧٩ ، والحديث أخرجه : مسلم في صحيحه ـ كتاب : الرقاق ـ باب : مَن أَشرَكَ في عَمَله غَيرَ الله. ـ عن أبي هريرة : ط الجيل : ٨/ ٢٢٣ / رقم : (٧٥٨٤) ٠

(٣) أخرجه : مسلم في صحيحه ـ كتاب : الآداب ـ باب : من سمع سمع الله به ـ عن ابن عباس ط الجيل : ٨/ ٢٢٣ / رقم : (٧٥٨٥) ٠

(٤) سورة : البقرة : ٢٧١ ٠

٧ـ أن يعمل العمل ؛ فيمدحه الناس ، ويثنون عليه دون قصد منه ؛ فهذا ليس من الرياء لقوله ـ ﷺ ـ لما سئل عن الرجل يعمل العمل فيحمده الناس؟ قال: "تلك عاجل بشرى المؤمن" (١) .

٨ ـ من عمل الأعمال الدنيوية ليمدحه الناس ، كمن حسن بيته أو مركبه أو ثوبه ؛ ليمدحه الناس، فهذا ليس من الرياء ؛ لأن الرياء يحبط ثواب العبادات ، وهذه الأعمال ليس فيها ثواب حتى يحبط ، بيد أنه يعاقب على ذلك إذا بلغ حد العجب والخيلاء ؛ لقوله ـ ﷺ ـ "مَن لَبسَ ثَوبَ شهرَة في الدنيَا، أَلبَسَه الله ثَوبَ مَذَلة يَومَ القيَامَة، ثم أَلهَبَ فيه نَارا" (٢) .

٩ ـ من كانت عادته في خلوته التقصير في العبادة ، كمن يسرق في صلاته ، وينقر نقر الغراب ؛ فإذا صلى أمام الناس حسنها إلى حد القبول فقط ، لا ليحمده الناس ، ولكن ليسلم من نقدهم ؛ فهذا ليس من الرياء ، وإنما هو من باب قولهم: "يثاب المرء رغم أنفه" (٣) .

رابعا : علاج الرياء :

إن الرياء من الأمراض الخطيرة ، التي تجعل الإنسان يخسر الدنيا والآخرة ؛ ولذلك يجب على المصاب به أن يعالج نفسه حتى يكون عمله خالصا لله ـ ﷻ ـ ومن طرق العلاج ما يلي :

(١) أولا: معرفة أنواع العمل للدنيا، وأنواع الرياء، وأقسامه، ودوافعه، وأسبابه ثم قطعها وقلعها من جذورها .

---

(١) انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٩/ ١٢٠ ؛والحديث أخرجه : مسلم في صحيحه كتاب : البر والصلة ـ باب : إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره ـ عن : أبي ذر : ٤/ ٢٠٣٤/ رقم : (٢٦٤٢) ٠

(٢) أخرجه : ابن ماجه في سننه كتاب : اللباس ـ باب : مَن لَبسَ شهرَة من الثيَاب ـ عن ابن عمر: ٤/ ٦٠١ / رقم : (٣٦٠٦) ٠

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم : ٦/ ٢٦٨ ٠

(٢) ثانيا: استحضار عظمة الله تعالى، فإن العبد إذا أيقن أن الله وحده هو الذي ينفع ويضر، ويعز ويذل، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، ويحيي ويميت، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، إذا عرف ذلك، وعلم بأن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فسيثمر ذلك إخلاصا وصدقا مع الله ـ ﷻ ـ

(٣) ثالثا: معرفة ما أعده الله في الدار الآخرة من نعيم وعذاب، وأهوال الموت، وعذاب القبر؛ فإن العبد إذا عرف ذلك وكان عاقلا هرب من الرياء إلى الإخلاص.

(٤) رابعا: الخوف من خطر العمل للدني والرياء المحبط للعمل؛ فإن من خاف أمرا بقي حَذرا منه فينجو .

فيجب على المرء ، أن يذَكرَ نفسه بآفات الرياء، والتعرض لمقت الله، ومن عرف فقر الناس وضعفهم استراح كما قال بعض السلف: ((جاهد نفسك في دفع أسباب الرياء عنك، واحرص أن يكون الناس عندك كالبهائم والصبيان، فلا تفرق في عبادتك بين وجودهم وعدمهم، وعلمهم بها أو غفلتهم ، عنها، واقنَع بعلم الله وحده

خامسا : أن يتعود إخفاء العبادات حتى يقنع قلبه بعلم الله تعالى، واطلاعه عليه ولا تنازعه نفسه إلى طلب علم غير الله تعالى به، وقد يشق عليه هذا ابتداء لكن مع الصبر يعينه الله فيجاهد نفسه حتى يشفى من هذا المرض .

سادسا: أن يلجأ إلى الله تعالى ضارعا ويدعوه مضطرا أن يشفيه من هذا المرض؛ قال تعالى: {أَمن يجيب المضطَر إذَا دَعَاه وَيَكشف السوءَ} [(١)] .

(١) جزء من الآية ٦٢ من سورة النمل ؛ وانظر في علاج الرياء : الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية : (ص: ٥٢ ؛ نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة: ٢٨ ، ٢٩ .

المطلب الثالث : " ـ

منع الماعون وأثره على الفرد والمجتمع

قال الله تعالى : ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧ ﴾ .

فقد بينت هذه الآية الكريمة أن المنافقين لم يحسنوا عبادة ربهم، ولم يحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم [١] .

أولا الأصل اللغوي لكلمة (ماعون)

اختلف اللغويون في الأصل اللغوي لكلمة (ماعون على أقوال ، منها :

١ ـ ذهب بعضهم إلى أنها فاعول من المعن وهو الشيء اليسير الهين الذي لا ينبغي أن يضَن به [٢] .

٢ ـ ذهب بعضهم إلى أن أَصل المَاعون مَعونَة مَفعلة من العَون، مثل المَغوثة من الغَوث، والمشورة من أَشَارَ يشير وَالأَلف عوَض عَن الهَاء [٣] ؛ فسمي الماعون بذلك ؛ لأنه من باب التعاون بين الناس .

ثانيا : أقوال السلف في المراد بالماعون : اختلف السلف في المراد بالماعون على أقوال منها :

١ ـ أن المراد بالماعون الزكاة المفروضة ، وهذا الوجه مروي عن علي بن أبي طالب وابن عمر والحسن [٤] ، رضي الله عنهم ؛ وذلك أن المنافقين منعوا الزكاة لخفائها ، وراؤوا بالصلاة لظهورها ، فإن فاتتهم لم يأسوا عليها [٥] .

---

(١) انظر :

(٢) انظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : ٩/ ٦٣٣٦ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة : ٣/ ١٢٨ باب العين والنون ؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٦/ ٢٢٠٥ (معن)

(٤) انظر : جامع البيان للطبري : ٢٤ / ٦٣٥ ـ ٦٣٨ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن زيد بن أسلم : ١٠ / ٣٤٦٩ / ١٩٥٠٤ .

وَسميَت الزكَاة مَاعونا ؛ لأنَ أَصل المَاعون من المَعن: وَهوَ الشيء القَليل، والزكاة قَليل من كَثير [١] .

٢ أن المراد به متاع البيت من فأس ودلو وقدر وإبرة ونحو ذلك مما لا يستغنى عنه، وهذا الوجه مروي عن ابن مسعود [٢] وابن عباس وغيرهما [٣] .

وإنما خص المنافقين بمنع الماعون، وهو من المحقرات، تنبيها على بخلهم، (وسوء خلتهم) ، وموضع

عداوتهم، وإشارة إلى غاية بغضهم للإسلام وأهله، وذلك أنهم إذا منعوا ما لا يرزأ مالا ولا يغير حالا فهم للكثير أمنع، وإذا لم يصلوا من مضرة المسلمين إلا إلى منع الحقير فهم بغير ذلك أدع، وإليه أسرع [٤] .

بيد أن هذين التفسيرين وغيرهما يرجعان إلى شيء واحد وهو المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد بن كعب الماعون المعروف [٥]،

كما روي عن عكرمة " أن رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والإبرة " [٦] .

ثالثا : حكم الإعارة :

اختلف العلماء في حكم الإعارة على قولين :

الأول ذهب فريق من العلماء إلى أنها واجبة ، واستدلوا على ذلك بما يلي :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧ ﴾ .

(١) انظر :

(٢)أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره : ١٠ / ٣٤٦٩ / ١٩٥٠١ .

(٣)أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن ابن عباس : ٢ / ٥٨٥ / ٣٩٧٦ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) انظر : التفسير البسيط : ٢٤/ ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٥) أخرجه : الإمام الطبري في تفسيره جامع البيان ت شاكر : ٢٤/ ٦٤١ .

(٦) أخرجه : ابن أبي حاتم في تفسيره : ١٠/ ٣٤٦٩ /١٩٥٠٥ .

وذلك أن الله ـ ﷻ ـ توعد المنافقين بالويل ، وجعل من صفاتهم القبيحة منع الماعون ؛ ولا يكون ذلك إلا في منع الواجب [١] .

٢ ـ قوله ـ ﷺ ـ"مَا من صَاحب إبل، وَلَا بَقَر، وَلَا غَنَم، لَا يؤَدي حَقهَا، إلا أقعدَ لَهَا يَومَ القيَامَة بقَاع قَرقَر تَطَؤه ذَات الظلف بظلفهَا، وَتَنطَحه ذَات القَرن بقَرنهَا، لَيسَ فيهَا يَومَئذ جَماء وَلَا مَكسورَة القَرن» قلنَا: يَا رَسولَ الله، وَمَا حَقهَا؟ قَالَ: " إطرَاق فَحلهَا، وَإعَارَة دَلوهَا، وَمَنيحَتهَا، وَحَلَبهَا عَلَى المَاء، وَحَمل عَلَيهَا في سَبيل الله [٢] .

٣ـ أنه صح عن طائفة من مفسري السلف أن المراد بالماعون : متاع البيت من فأس ودلو وقدر ، على ما سبق بيانه . قال ابن رجب [عبد الرحمن بن أحمد ت٧٩٥] "ما تدعو الحاجة إلى الانتفاع به من [الأموال و] الأعيان ولا ضرر في بذله؛ لتيسره وكثرة وجوده، أو المنافع المحتاج إليها يجب بذله مجانا بغير عوض [في الأظهر" [٣] .

الآخر : ذهب جمهور العلماء إلى أنها سنة مستحبة شَرعا والوجوب : َمروءَة وَعرفا في حَالَة الاختيَار ، واستدلوا على ذلك بما يلي :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [٤] .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [٥] .

٣ ـ قوله ـ ﷺ ـ: " كل معروف صدقة " [٦] .

---

(١) انظر :

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ الزكاة ـ إثم مانع الزكاة ـ عن جابر ـ ﷺ ـ : ٢/ ٦٨٥ / ٩٨٨ .

(٣) تقرير القواعد وتحرير الفوائد ت مشهور : ٢/ ٣٨٨ .

(٤) سورة : المائدة جزء من الآية ٢ .

(٥) سورة : الحج : جزء من الآية : ٧٧ .

(٦) أخرجه : البخاري في صحيحه ـ كتاب : الأدب ـ باب :كل معروف صدقة ـ عن جابر ـ ﷺ ـ: ٨/ ١١ / ٦٠٢١ ؛ ؛ وانظر : نيل الأوطار : ٥/ ٣٥٩ .

ورغم ذلك فحكمها يختلف ـ في بعض الأحيان ـ فتعتريها الأحكام التالية :

١ ـ الوجوب : وذلك كإعارة الحبل لإنقاذ غريق، والسكين لذبح حيوان محترم يخشى موته [١] .

٢ ـ الكراهة : وذلك كاستعارة امرأة لخدمته في خلوة ؛ فَلأَنه لَا يؤمَن مَعَه الاطلَاع عَلَيهَا وَالوقوع في المَعصيَة [٢] .

قلت : يدخل في هذا استعارة ولاعة لإشعال .

٣ ـ الحرمة : كإعارة سكين ونحوه للمحرم للصيد ، وَالخَيل وَالسلَاح للحَربي وَقَاطع الطريق وَالبَاغي إذَا غَلَبَ عَلَى الظن عصيَانهم بذَلكَ [٣] .

قلت : يدخل في هذا : إعارة الزوجة لأجنبي لوطئها ، وهو ما يعرف بتبادل الزوجات الذي انتشر منذ أواخر القرن العشرين .

وأجاب الجمهور عن أدلة القائلين بوجوبها مطلقا بما يلي :

١ ـ أنها كانت واجبة في صدر الإسلام ، ثم نسخ وجوبها [٤] .

٢ ـ أن الوعيد على الثلاثة مجتمعة ، قال عكرمة: "مَن جَمَعَهنَ فلَه الوَيل؛ مَن راءى في صَلاته وسَها عَنها ومَنَعَ هذا، فلَه الوَيل" [٥]

٣ ـ أن الوعيد محمول على من يمنع الماعون إذا تعين عليه إعارته [٦] .

---

(١) انظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج : ٥ / ١١٨ .

(٢) انظر : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : ٤ / ١٨٩ .

(٣) انظر : حاشية البجيرمي على الخطيب = تحفة الحبيب على شرح الخطيب : ٣ / ١٥٥ .

(٤) انظر : تحفة الحبيب على شرح الخطيب : ٣/ ٤٨ع عدم احتياج صاحبه إليه في ذلك الوقت نوع من دناءة الأصل ، التي يأباها ٨ .الإسلام الحنيف .

٣ ـ أن الإنسان لا يستعير شيئا ـ في الغالب ـ إلا إذا كان مضطرا .

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ـ العارية ـ باب ما جاءَ فى جَواز العارية والترغيب فيهات التركي : ١٢/ ٢٢ / ١١٥٨٢ .

(٦) انظر : تحفة الحبيب على شرح الخطيب : ٣/ ٤٨٨ .

الجمع بين المذهبين :

لابد من تقرير عدة مقدمات أولا ؛ حتى يتحرر محل الخلاف ، وبيان ذلك كما يلي :

١ ـ أن المعير مثاب على إعارته ؛ لأنه تعاون على البر والتقوى .

٢ ـ أن منع الماعون مع عدم احتياج صاحبه إليه ـ في ذلك الوقت ـ نوع من دناءة الأصل ، التي يأباها ديننا الإسلامي الحنيف .

٣ ـ أن الإنسان لا يستعير شيئا ـ في الغالب ـ إلا إذا كان مضطرا .

قال صاحب أضواء البيان : "العَارِيَةَ مستَحَبة شَرعا وَمرءَة وَعرفا في حَالَة الاختيَار، وَوَاجبَة في حَالَة الاضطرَار، مَعَ ملَاحَظَة أَن حَالَات الاستعَارَة أَغلَبهَا اضطرَار، إلا أَن حَالَات الاضطرَار تَتَفَاوَت ظروفهَا" [1] .وعلى هذا : لو نزل على شخص ضيوفا ، ولم يكن عنده أطباق ، أو ملاعق ، أو أكواب تكفيهم ؛ فذهب إلى جاره ليستعير منه شيئا من ذلك فمنعه من غير عذر حقيقي كان آثما ؛ لأن صاحب الضيوف مضطر .

وبذلك يجتمع القولان ؛ لأنه يندر وجود حالة استعارة ، دون حاجة ملحة من المستعير .

والله أعلم

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٢٢)

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فهذا بحث من أهم البحوث للمهتمين بالدراسات القرآنية عموما ، وللمفسرين خصوصا ؛ ذلك أنه يعالج مجموعة من القضايا التي يعاني منها المجتمع الإسلامي ، والتي حذر منها القرآن الكريم ، في مرحلة مبكرة من نزوله ، وفي سورة من قصار سوره ، والتي يظن البعض أنها لا تحذر من كل هذه القضايا ، التي ابتلي بها كثير من الناس ؛ خاصة في ظل وباء (كورونا) .

ويمكن استخلاص نتائج هذا البحث فيما يلي :

١ . أن هذه السورة الصغيرة ذات الآيات السبع القصيرة تعالج حقيقة ضخمة تكاد تبدل المفهوم السائد للإيمان والكفر تبديلا كاملا .

٢ . أن هذا الدين ليس دين مظاهر وطقوس ولا تغني فيه مظاهر العبادات والشعائر، ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله

٣ . أن هذا الدين ليس أجزاء وتفاريق موزعة منفصلة، يؤدي منها الإنسان ما يشاء، ويدع منها ما يشاء ، إنما هو منهج متكامل، تتعاون عباداته وشعائره في تحقيق الخير للفرد والجماعة .

٤ . التعجيب من حال من كذبوا بالبعث وتفظيع أعمالهم وتحذيرهم من غضب الله وعقابه .

٥ ـ أن القسوة على اليتامى والضعفاء دليل على نزع الرحمة من القلب ، ولا تنزع الرحمة إلا من شقي .

٦ ـ أن ازدراء المساكين ، وعدم الإحسان إليهم من سيما الكفرة ، حيث عده تعالى من أوصاف المكذب بالدين .

٧ ـ أن الإنسان إذا كان عاجزا عن مساعدة المسكين كان عليه أن يحث غيره من القادرين على ذلك ويدعوه إلى فعل الخير ، ويكرر ذلك دون كلل ، أو ملل ، وذلك أضعف الإيمان .

٨ ـ أن الصلاة ، وإن كان لها بعد إلهي ؛ فلها بعد إنساني لا يستهان به ؛ ذلك أنها تعالج كثيرا الأمراض النفسية والاجتماعية والأخلاقية ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر .

٩ ـ أن الرياء من الأمراض الخطيرة ، التي تجعل الإنسان يخسر الدنيا والآخرة ؛ ولذلك يجب على المصاب به أن يعالج نفسه بشتى الوسائل ؛ حتى يكون عمله خالصا لله ـ ﷻ ـ .

١٠ ـ أن منع الماعون مع عدم احتياج صاحبه إليه ـ في ذلك الوقت ـ نوع من دناءة الأصل ، التي يأباها ديننا الإسلامي الحنيف .

ثانيا : التوصيات

لما كان القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ، ولا تنتهي غرائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فإنني . أوصي الباحثين أن يستفرغوا وسعهم ، ويعملوا عقولهم في البحث عن الموضوعات القرآنية التي لم تطرق ؛ حتى لا يظلوا دائرين في حلقة مفرغة : ما قاله عالم يؤكده آخر ، وما بناه هذا ينقضه ذاك ، وهلم جرا .

كما يبحثون عن الموضوعات التي تعالج القضايا المعاصرة ؛ حتى يؤكدوا للعالم أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أردد قول الحق ـ ﷻ ـ : ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [١] .

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ؛ إنه نعم المولى ، ونعم النصير

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ .

المراجع

هذه قائمة بأهم المراجع :

١. القرآن الكريم
٢. الإتقان في علوم القرآن . جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . تح / سعيد المندوب . ط / دار الفكر . بيروت . ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ .
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ محمد الأمين الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ ط/ دار الفكر . بيروت . لبنان . ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥م
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـ محمد الأمين الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ ط/ دار الفكر . بيروت . لبنان . ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥م
٥. البحر المحيط في أصول الفقه . بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي [ت٧٩٤هـ] . ط / دار الكتبي . الأولـ ١٤١٤هـ . ١٩٩٤م.
٦. البحر المحيط في التفسير ـ أبو حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ ـ تح/ صدقي محمد جميل . ط / دار الفكر . بيروت . ١٤٢٠هـ*
٧. البرهان في علوم القرآن . أبو عبد الله بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤هـ . تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط / دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.
٨. بيان المعاني مرتب حسب ترتيب النزول . عبد القادر بن ملّا حويش [ت١٣٩٨هـ] ط / مطبعة الترقي . دمشق . الأولى ١٣٨٢هـ ١٩٦٥م.
٩. البيان في عدّ آي القرآن . أبو عمرو الداني ت ٤٤٤هـ تح/ غانم قدوري الحمد ـ ط / مركز المخطوطات . الكويت . الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
١٠. تاج العروس من جواهر القاموس . محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى ، الزبيدي ت ١٢٠٥هـ . تح / مجموعة من المحققين . ط / دار الهداية . بيروت .

١١. التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور . ط / مؤسسة التاريخ العربي . بيروت . لبنان . الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.*
١٢. التسهيل لعلوم التنزيل ـ ابن جزي الكلبي ت ٧٤١هـ ـ تح/ د. عبد الله الخالدي ـ ط / دار الأرقم . بيروت . الأولى . ١٤١٦هـ .
١٣. تفسير ابن أبي حاتم . أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي . تح / أسعد محمد الطيب . ط / المكتبة العصرية . صيدا . لبنان . *
١٤. تفسير الشعراوي "الخواطر" . محمد متولي الشعراوي [ت١٤١٨هـ] . ط/مطابع أخبار اليوم . ١٩٩٧م.
١٥. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) محمد بن جرير الطبري تح / أحمد محمد شاكر . ط / مؤسسة الرسالة . بيروت . الأولى . ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م.
١٦. التفسير القرآني للقرآن . عبد الكريم الخطيب . ط/دار الفكر العربي . القاهرة . د.ت.
١٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي . تح / هشام سمير البخاري . ط / دار عالم الكتب . الرياض، . السعودية . ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
١٨. تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) . محمد رشيد رضا [ت١٣٥٤هـ] ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٩٠م.
١٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ـ د وهبة بن مصطفى الزحيلي . ط / دار الفكر المعاصر . دمشق . الثانية . ١٤١٨هـ
٢٠. تفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" . أبو البركات النسفي [ت٧١٠هـ] . تح/يوسف علي بديوي . ط/دار الكلم الطيب، بيروت . الأولى١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٢١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم . محمد سيد طنطاوي . ط/دار نهضة مصر . الفجالة . القاهرة . الأولى١٩٩٧، ١٩٩٨م.
٢٢. تفسير عبد الرزاق ـ عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١هـ تح / د. محمود محمد عبده . ط / دار الكتب العلمية . بيروت. . الأولى ١٤١٩هـ

٢٣. تفسير مقاتل بن سليمان بن بشير[ت١٥٠هـ] . تح/عبد الله محمود شحات ـ ط/ دار إحياء التراث . بيروت . الأولى١٤٢٣هـ.
٢٤. تهذيب اللغة . أبو منصور الأزهري الهروي ت ٣٧٠هـ . تح/ محمد عوض مرعب ط / دار إحياء التراث العربي بيروت . الأولى ٢٠٠١م
٢٥. الجنى الداني في حروف المعاني . بدر الدين حسن بن قاسم المرادي [ت٧٤٩هـ] تح/ د فخر الدين قباوة . ط / دار الكتب العلمية بيروت . لبنان . الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
٢٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . السمين الحلبي ت ٧٥٦هـ تح/ د. أحمد الخراط . ط / دار القلم . دمشق
٢٧. روح البيان . إسماعيل حقي الإستانبولي . ط / دار إحياء التراث العربى .
٢٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ أبو الفضل محمود الألوسي . ط / دار إحياء التراث العربي . بيروت . د.ت.*
٢٩. زاد المسير في علم التفسير . عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ط / المكتب الإسلامي . بيروت . الثالثة . ١٤٠٤ . *
٣٠. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ـ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ت ٩٧٧هـ ط / مطبعة بولاق (الأميرية) ـ القاهرة ١٢٨٥هـ
٣١. سنن ابن ماجه . محمد بن يزيد القزويني . تح / محمد فؤاد عبد الباقي ط / دار الفكر . بيروت .*
٣٢. سنن أبي داود ـ أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ـ ط/ دار الكتاب العربي . بيروت . *
٣٣. السنن الكبرى ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ ط / مجلس دائرة المعارف النظامية . الهند . حيدر آباد . الأولى . ١٣٤٤هـ

٣٤. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . نشوان بن سعيد الحميري ت ٥٧٣هـ تح/ د حسين بن عبد الله العمري . مطهر بن علي الإرياني . د يوسف محمد عبد الله ـ ط / دار الفكر المعاصر بيروت . دار الفكر دمشق ـ سورية ـ الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٣٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـ إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت ٣٩٣هـ . تح / أحمد عبد الغفور عطار . ط / دار العلم للملايين . بيروت . الرابعة ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م
٣٦. صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل البخاري ـ تح / د. مصطفى ديب البغا ـ ط / دار ابن كثير . اليمامة . بيروت . الثالثة . ١٤٠٧ . ١٩٨٧ م.*
٣٧. صحيح الجامع الصغير وزياداته ـ محمد ناصر الدين الألباني ت ١٤٢٠هـ ـ ط / المكتب الإسلامي . د.ت.
٣٨. صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج النيسابوري . تح / محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط / دار إحياء التراث العربي . بيروت . د . ت .
٣٩. صفوة التفاسير ـ محمد علي الصابوني ـ دار الصابوني ـ القاهرة ـ الأولى ـ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
٤٠. علوم البلاغة . أحمد بن مصطفى المراغي ت ١٣٧١هـ د.ت.
٤١. فتح الباري شرح صحيح البخاري . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ ط / دار المعرفة . بيروت . ١٣٧٩ هـ
٤٢. فتح القدير ـ محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ ط / دار ابن كثير دار الكلم الطيب . دمشق بيروت . الأولى . ١٤١٤هـ
٤٣. كشاف اصطلاحات الفنون ـ محمد علي التهانوي الحنفي ـ تح / أحمد حسن بسج ـ ط / دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ د.ت. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي . تح / عبد الرزاق المهدي . ط / دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

٤٤. الكليات ـ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي . تح / عدنان درويش ـ محمد المصري . ط/ مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م. ،
٤٥. لباب التأويل في معاني التنزيل ـ (الخازن) علاء الدين الشيحي ت ٧٤١هـ تح/ محمد علي شاهين . ط/ دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى .١٤١٥هـ
٤٦. اللباب في علوم الكتاب . ابن عادل الحنبلي ت ٧٧٥هـ تح/ عادل عبد الموجود . علي محمد معوض . ط / دار الكتب العلمية . بيروت / لبنان ـ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٤٧. لسان العرب . محمد بن مكرم ابن منظور ت ٧١١هـ ط / دار صادر . بيروت . الثالثة . ١٤١٤هـ .*
٤٨. المجتبى من مشكل إعراب القرآن ـ أ. د. أحمد بن محمد الخراط ـ ط / مجمع الملك فهد المدينة المنورة . ١٤٢٦هـ
٤٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ أبو الحسن الهيثمي ت ٨,٧هـ تح/ حسام الدين القدسي . ط / مكتبة القدسي . القاهرة . ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.*
٥٠. مجمل اللغة ـ أحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ تح / زهير عبد المحسن سلطان ـ ط / مؤسسة الرسالة . بيروت . الثانية ١٤,٦هـ ١٩٨٦م.
٥١. محاسن التأويل . محمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢هـ تح/ محمد باسل عيون السود . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى . ١٤١٨هـ
٥٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ ابن عطية الأندلسي ت ٥٤٢هـ تح/ عبد السلام عبد الشافي ــ ط / دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الأولى . ١٤٢٢هـ *
٥٣. المحكم والمحيط الأعظم ـ أبو الحسن بن سيده ت ٤٥٨هـ تح/ عبد الحميد هنداوي . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٢١هـ ٢...م.
٥٤. المحكم والمحيط الأعظم ـ أبو الحسن بن سيده ت ٤٥٨هـ تح/ عبد الحميد هنداوي . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٢١هـ ٢...م.

٥٥. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد . محمد بن عمر الجاوي ت ١٣١٦هـ تح/ محمد أمين الصناوي . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى . ١٤١٧هـ
٥٦. المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله الحاكم . ت٤,٥هـ تح / مصطفى عبد القادر عطا . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى . ١٤١١هـ١٩٩٠م.
٥٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن ـ جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ ط/ دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الأولى ١٤,٨هـ . ١٩٨٨م.
٥٨. معجم الفروق اللغوية . أبو هلال العسكري ت نحو ٣٩٥هـ تح الشيخ / بيت الله بيات . ط / مؤسسة النشر الإسلامي . قم . الأولى ١٤١٢هـ.
٥٩. المعجم الكبير. سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني . تح / حمدي بن عبد المجيد السلفي ط / مكتبة العلوم والحكم . الموصل . الثانية . ١٤,٤ . ١٩٨٣ م.
٦٠. مفاتيح الغيب ـ فخر الدين محمد بن عمر الرازي ـ ط / دار الكتب العلمية ـ بيروت . الأولى . ١٤٢١هـ . ٢... م.*
٦١. المفردات في غريب القرآن . الراغب الأصفهانى ت ٥,٢هـ تح/ صفوان الداودي ـ ط / دار القلم . دمشق . بيروت . الأولى . ١٤١٢هـ.
٦٢. الموسوعة القرآنية ـ إبراهيم الإبياري ت ١٤١٤هـ ط / مؤسسة سجل العرب ـ ١٤,٥هـ.
٦٣. موطأ الإمام مالك . مالك بن أنس الأصبحي . تح : محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط / دار إحياء التراث العربي . مصر . د . ت .
٦٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ـ تح / عبد الرزاق غالب المهدي . ط / دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٥هـ . ١٩٩٥ م .
٦٥. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج . شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة الرملي.. ط / دار الفكر . بيروت . ١٤,٤هـ – ١٩٨٤م.

٦٦. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام . محمد صديق خان القِنَّوجي [ت١٣٠٧هـ] . تح/محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي . ط/دار الكتب العلمية . بيروت . ٢٠٠٣م.